مجلة البيان – العدد 39 ، ذو القعدة 1411هـ / مايو 1991م

الافتتاحية

الغمرات.. ثم ينجلين

هـل طـول الـغمة يُطمع في انقضائها؟ ، وهل كثرة المصائب وتكالب الأعداء واشتداد الأزمة يوحي بانفراجها؟ جاء في السيرة النبوية أنه عندما تكالب الأحزاب على المسلمين ونقضت يهود قريظـة العهد وتألبت مع من تألب ، واشتد الأمر على المسلمين وزلزلوا زلزالاً شديداً قال -صلى الله عليه وسلم- »أبشروا يا معشر المسلمين« [زاد المعاد 3/272].

لقد طال لـيـل الغمة على المسلمين ، ومفاجآت المنطقة العربية لا تنتهي فبعد أزمة الخليج وخـروج الأمـة مـثـخــنـة بالـجـراح ، جاءت مشكلة الأكراد لتضيف مأساة أخرى كمأساة فـلـسـطـين ، ويغرق العرب بوعود أمريكا لحل مشكلة فلسطين بعد الحرب ثم يبدأ التنصل والمـراوغـة ، وكانـت الـشـعـوب تـأمـل من الحكومات أن تستفيد من أحداث الخليج ومن الـتـغـيرات العالمية وتخفف من قيودها على الناس ولكن ما من مجيب ويبقى السؤال الملح بعد حالة الذهول وعدم التوازن ، ما المخرج؟

هـل فـكـرنا كـيـف قوي هذا الغرب ، حتى وصل إلى ما وصل إليه الآن ، لقد بدأ التفكير بالتغيير عند الأوروبـيـين عندما اصطدموا بالحضارة الإسلامية بعد الحروب الصليبية فهل هذه الصدمات المتوالية تجعلنا نفكر بعمق كيف يبدأ التغيير؟ لابد أن نرجع قليلاً إلى الوراء لنرى المحاولات والـتـجـارب التي جرت على جسد أمتنا المنهكة من تحديث محمد علي بـاشـا ورفـاعـة الطـهـطـاوي إلى الـدول الـقـطرية التي كرست التبعية للغرب والشرق ، إلى العسكرتاريا التي حطمت شخصية الفرد المسلم ، بل شخصية الإنسان كإنسان إلى التيارات الـعـصـرانـية والـعـلـمـانية التي لاتزال تنفخ في قربة مقطوعة ، مما يؤدي دائماً إلى تعطيل الدورة التاريخية للاجتماع الإسلامي.

في مثل هذه الأجواء القاتمة لابد من عمل قوي يعيد للمسلم الثقة ، لابد من مراجعة النفس ونقد الذات والاعتراف بالخطأ ، لابد من اجتماع الدعاة والعلماء الصادقين ، وترك الإحن والحزبية التي أفسدت علينا ديننا ودنيانا، لـقـد عـاش المـسلمون حالة تفاؤل لما يجري في أطراف العالم الإسلامي وقالوا: لعل الفرج يأتي من هناك ، ولكن داء التفرق والمواقف غير المنضبطة أضعفت هذه الآمال ، فهل يتوحد المسلمون لنرى يوماً من أيام الله..

وأما هذا الـغـرب وعلى رأسه أمريكا ، فـإن مـطـالـعة سنن التاريخ تعلمنا أن الدول عندما تصاب بـداء الغطرسة فإن ذلك بداية أفولها ، وإصـابـة أمـريكا بهذا الداء عبر عنه عضو مجلس الشيوخ الأمريكي (ألبرت بيفردج) عندما قال: »إن الأمريكيين جنس فاتح ولابد أن نطيع دماءنا ، ونحتل أسواقاً وأرضاً

جديدة إذا لزم الأمر ، ولابد أن تختفي الحضارات الوضيعة ، و الأجناس المتعفنة أمام الحضارات السامية للإنسان الأقوى والأعظم نبلاً«(1) ، كما عبر عنه الرئيس روزفلت في عام 1943 إثر اجتماعه برئيس الوزراء البريطاني تشرشل في الدار البيضاء ، قال : »إن الحـلفـاء سوف يقاتلون حتى يستسلم أعداؤهم دون أي شروط« يعلق الكاتب (ولبرايت) عـلـى هـذه العبارة : »إنها طفرت من أعماق روح التعصب ، ومبدأ الاستسلام غير المشروط مبدأ غير حكيم..«(2).

وهذا لا يعني أن الغرب سينهار بسرعة ، ولكنها دعوة إلى معرفته ومعرفة الأسباب العميقة لضعفنا ، ودعوة إلى التفاؤل وتغيير أساليب تفكيرنا.

الهوامش :

1- د.أحمد صدقي الدجاني / التغلب على غواية غطرسة القوة ، مقال بمجلة الهلال عدد أبريل 1991م

2- المصدر المسابق.

من كنوز السنة

الاعتدال في الحب والبغض

ستر الجعيد

الاعتدال والتوسط سمة من سمات هذا الدين، يدخل في كثير من الأشـيـاء، بل يمكن القول أنه قاعدة مطردة.

والمتأمل في أحوال كثير من الأمم والأفراد ، يجدهم بين غالٍ ومسرف ، ومتهاون ومضيع، وبـيـن مـعـتـدل ومتوسط سالك لطريق الأمة الوسط قال تعالى: ((وكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ)).

والـتـوسـط الـذي يـجـري في حياة الأمة كما هو في تفكيرها وفقهها ، ومعالجتها لكثير من قضاياها يجعلها إذا التزمت به تحصل على فضائل جمة وخصال حميدة تجني عليها من المـفـاسد وعـدم الاعتدال بقدر ما تفرط في التوسط والاعتدال ، والأمثلة على ذلك كثيرة في حياة الأفراد والأمم بل وحتى الدعوات ، ومناحي التوجيه ، والتعليم ، والتربية ، ولكن لو نـظـرنـا في الحب والبغض لوجدنا ذلك واضحاً ، فالناس بين مشتط في البغض لأمور لا تستحق ذلك البغض أو على الأقل لا تستحق تلك الدرجة من البغض ، وآخر متساهل فلا يبغض على أشـيـاء تستحق البغض بل أحياناً البغض فيها واجب مفروض ، وقد تجد من يضع الحب مكان البغض المطلوب.

فتجد من هو مقيم بحب بلغ فيه درجته القصوى، وإعجاب يسيطر على مشاعره وتصرفاته في الـوقـت الـذي تـجـد أن حباً أقل من ذلك يكفي في هذا الموطن مما يجعل الأثر يظهر في معالجة كثير من القضايا.

ومع أن التوسط والاعتدال قاعدة مطرودة يفهم من فروع كثيرة لكن رسولنا -صلى الله عليه وسلم- نص عليه ونبه على أثر تركه في هذه المسألة بالذات لأنها ذات أثرٍ بالغٍ وينشأ عن الإخلال بها مفاسد كثيرة، كما ينشـأ عن التمسك بها مصالح جمة. فقال محذراً وموجهاً: »أحبِبْ حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما ، وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما«(1) »ومعنى هوناً ما: أي حباً مقتصداً لا إفراط فيه وإضافة ما إليه تفيد التقليل، يعني لا سرف في الحب والبغض فعسى أن يصير الحبيب بغيضاً والبغيض حبيباً فلا تكون قد أسرفت في الحب فتندم ولا في البغض فتستحي«

فما أعظم الإسلام ، وما أعظم توجيهات النبي -صلى الله عليه وسلم- ، فـهـلا مـن فـقـه صـحـيـح ، وتـحـر واضح لهذه المسألة ومعرفة لحدود الحب والبغض حتى تصلح أحوال الأفراد والأمم والجماعات والدعوات ، وتدرأ كذلك مفاسد كبيرة تنشأ من غياب هذا الفقه الصحيح في الواقع ، وبالإضافة إلى ما سبق فإن هذا الحديث ينبه على بعض جوانـب من قـضـايــا علم النفس التي ذكرها رسولنا -صلى الله عليه وسلم- ضمن توجيهاته وأقـوالـه، فهل من دراسة جادة لها وتوضيح لمقاصدها ، وبناءً لهذا العلم على أسـس صـحـيحة بدلاً من تجارب فرويد ومن لهث وراءه بنظريات جوفاء خطؤها أكثر من صوابها ، فهي لا تعدو أن تكون تفكيراً من كافر - في جوانب لا يصلح فيها الـتـفـكـير وإنما جاء بيانها ممن خلق الإنسان - أو تجربة على حـيـوان أو عـلـى بـيـئـة لا تتفق مع أحوال المسلمين في كثير من القضايا ، وبالتالي جاءت ثمارها غير متفقة بل ونكدة في غالبها.

أرجـــو الله أن يوفق المختصون للاهتمام بذلك ولا يأخذهم التعصب لتخصصهم ، وليعيدوا النظر في كثير من أمور التربية وعلم النفس فهي بحاجة إلى إعادة النظر وإرجاع إلى أصول صحيحة وأسس قويمة.

الهوامش:

1- صحيح (أخرجه الترمذي والبيهقي عن أبي هريرة وغيره) صحيح الجامع 1/97 رقم 178.

دفاع البوطي
عن دعاة وحدة الوجود

عبد القادر حامد

سـنـنـقـل للـقـارئ حـاشـيـة طويلة من حواشي البوطي ، لما تمثله من تلخيص جيد لمنهجه العلمي، وما تـشـتـمـل عليه من مميزاته الـتي أشرنا إليها في ثنايا ما كتبناه سابقاً ، وهذه الـحـاشـيـة دفـاع منه عن ابن عربـي ، وهجوم (سماه هو دفاعاً) على ابن تيمية وعلى من يقلده وينهج نهجه، وسنرد على

بـعـض ما جاء في هذه الحاشية، ولن نلزم القارئ بشيء، ولن نلح عليه بتصديق ما نقول ، وإلا فهو غير »محرر قلبه من شوائب العصبيات والأهواء«!
إن صاحب المنهج الحق لا يستجدي مـوافـقـة الآخرين وتصديقهم له ؛ فإن فعلوا فهم على الحق ، وقلوبهم متحررة من شوائب الأهواء والعصبيات وإن لم يفعلوا كانوا عكس ذلك. إنه يبين منهجه ، ويقول كلمته ، ويفصل بحججه ما وسعه التفصيل ، ويثق بعقول قرائه دون وصاية أو إغراء أو تحذير.
يقول البوطي في صدد دفاعه عن القائلين بوحدة الوجود وتشنيعه على من ينتقدهم:
»... وخـلاصـة المـشـكـلـة أنه (أي ابن تيمية) ومن يقلده في نهجه يظلّون يأخذون ابن عربي وأمـثـالـه بلازم أقوالهم ، دون أن يحملوا أنفسهم على التأكيد من أنهم يعتقدون فعلاً ذلك اللازم الذي تصوروه.
أما أن يكون في كتب ابن عربي كلام يخالف العقيدة الصحيحة ويستوجب الكفر، فهذا ما لا ريبة ولا نقاش فيه. وأمّا أن يدلّ ذلك دلالة قاطعة على أن ابن عربي كافر، وأنه ينطلق في فهم (شهود الذات الإلهية) ، من أصـل كفري هو نظرية الفيض ، فهذا ما لا يملك ابن تيمية ولا غيره أي دلـيل قـاطع عليه. فإن كتب ابن عربي تفيض بالبيانات المفصلة المكررة التي تـنـاقـض هذا الأصـل الكفري. هذا بالإضافة إلى أنه قد بات معلوماً ومؤكداً أن طائفة معلومة من الزنادقة الباطنية دســوّا ما شـاؤوا أن يدسوّا في كتبه. ذكر ذلك المقري في (نفح الطيب)، وأكده ابـن عـمـاد في (شذرات الذهب)، وأكده في قصة طويلة الإمام الشعراني في (الـيـواقـيـت والجواهر)، وذكره الحاجي خليفة في (كشف الظنون) ، ولا نشك في أن ابن تيمية ينبغي أن يكون في مقدمة من يعلم ذلك.
ولست في هذا منطلقاً من عصبية لابن عربي أو غيره. بل إن الميزان الوحيد عندي في ذلك هو القاعدة الشرعية التي يجب اتباعها عند الإقدام على تكفير أناس أو تضليلهم ، وهي قاعدة معروفة لأهل العلم جميعاً وفي مقدمتهم ابن تيمية -رحمه الله-.
ولقد حكّمت هذه القاعدة في حق ابن تيمية ، قبل تحكيمها في حق ابن عربي ، فلقد نقلت فقرات من كلامه الذي يتضمن إقرار الفلاسفة في اعتقادهم بالقدم النوعي للمادة ، وبوجود قوة طبيعية مودعة في الأشياء بها تحقق فاعلياتها وتأثيراتها، بل يتضمن الدفاع عنهم، في ذلك ودعـوى أنـه الـحـق الـذي لا مـحـيـض عـنه. وقد ثـبـت للعلماء جميعاً أن الفلاسفة اليونانيين وقعوا في الكفر لثلاثة أسباب، في مقدمتها، قـولـهـم بالـقـدم النوعي للعالم . ولا يرتاب مسلم أن الكفر بدعوى قدم العالم ، أو بدعوى وجود قوة مودعة في الأشياء بها يتم التأثير، ليس أقل خطورة وجلاء من الكفر الذي تتضمنه عبارات واردة في كلام ابن عربي.

ولكنا مع ذلك لم نجنح، لهذا السبب، إلى تكفير ابن تيميه ولا إلى تضليله ، بل انطلقنا إلى النظر في ذلك من تحكيم القواعد الشرعية ذاتها ، فلقد لاحظنا الأمر ذاته الذي لاحظناه في كتب الشيخ ابن عربي -رحمه الله- إذ رأينا لابن تيمية كلاماً آخر في أكثر من موضع يناقض كلامه الباطل الذي أيّد فيه الفلاسفة في ضلالهم الذي كان سبباً من أسباب كفرهما ، بحيث لو أردنا أن نردّ على ابن تيمية هذا الباطل الذي تورط فيه ، لما وجدنا كلاماً نرد به عليه ، خيراً من كلام ابن تيمية ذاته الذي كرره في عدة مناسبات أخرى.
فاقتضانا ذلك أن نَعْرِفَهُ بالحق الذي تكرر في كتبه وكلامه، لا أن ننعته بمقتضى الكلمات الباطلة التي دار بها قلمه أو تحرك بها مرة لسانه.
ومهما كان السبيل إلى حسن الظن بأهل القبلة ميسراً، فهو الواجب الذي لا محيد عنه، وما أيسر أن تزاح العبارات المشكلة عن السبيل إلى ذلك بأنواع من التأويل والاحتمال. وإذا كان لابد من تأويل العبارات الباطلة لتتحول إلى حق فنحافظ بذلك على حسن ظننا بصاحبها ، أو من تأويل كلامه الحق ليتحول إلى باطل، فنجعله معتمدنا في إساءة الظن به، فإن مما لا يرتاب فيه المسلمون قط أن الواجب هو تأويل الباطل بما يتفق مع الحق الذي عرف الرجل به لا العكس. لأن حسن الظن هو الأمثل بحال الرجل الصادق في إسلامه ، وهو الذي يقضي به قول الله عز وجل:
((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إثْمٌ))[الحجرات: 12].
وإذا أبى ابن تيمية -رحمه الله- إلا أن يحملنا على تكفير ابن عربي استدلالاً بالكفريات الموجودة في كلامه، والإعراض عن الصفحات الطوال التي تناقضها وتردّ عليها في مختلف كتبه وأقواله ، فإنها لدعوة منه بلا ريب إلى أن نكفره هو الآخر استدلالاً بالضلالات الفلسفية التي انزلق فيها ، وأن نعرض عن كلامه الآخر الذي يناقضها ويبرئه من مغبتها. ولكني أشهد أن دين الله عز وجل يأبى أن ندعو بهذه الدعوة ، كما أنه يحذر من الانصياع لها.
ولعل كل متدبر للحق، محرر قلبه من شوائب العصبيات والأهواء ، لا يعجز عن تصديق ما أقول ، وعن اليقين بأنه المتفق مع كتاب الله ، و المنسجم مع هدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-«[كتابه ص 204 ، 205 ، 206] .

القول ولازم القول :

يبدأ البوطي موهماً باستخدام بعض عبارات العلماء ، فيشير إلى القول ولازم القول ، ولكن لا يوضح لقرائه - وهم بحاجة إلى ذلك - القول ولازم القول؟
حتى نعلم : أصحيح أن ابن تيمية - ودعك ممن يقلده في نهجه - يأخذ ابن عربي وأمثاله بلازم أقوالهم ، دون أن يحمل نفسه على التأكد من أنهم يعتقدون فعلاً ذلك اللازم؟

معنى هـــذا أنه ليس في كتب ابن عربي ما يدل دلالة واضحة على هذا الذي أُخذ عليه، وإنما هي تخـرصـــات تخرصها ابن تيمية عليه ، لكن هذا الزعم ينقضه البوطي نفسه في عبارته التالية مباشرة:
»أمـــا أن يكون في كتب ابن عربي كلام كثير يخالف العقيدة الصحيحة ويستوجب الكفر، فهذا ما لا ريبة ولا نقاش فيه«.
هذا طرف المعادلة الأول! وطرفها الثاني هو: »وأما أن يدل ذلك دلالة قاطعة على أن ابن عربي كافر وأنه ينطلق في فهم (شهود الذات الإلهية) من أصل كفري هو نظرية الفيض ، فهذا ما لا يملك ابن تيمية ولا غيره أي دليل قاطع عليه«. ما دليل البوطي على فقدان ابن تيمية وغيره الدليل عليه؟! دليله ما يلي : »فإن كتب ابن عربي تفيض بالبيانات المفصلة! المكررة! (كما نقول نحن اليوم : الإحصائيات المفصلة!) التي تناقض هذا الأصل الكفري«.

ودليل آخر:

»وهذا بالإضافة إلى أنه قد بات معلوماً ومؤكداً (لا نقاش في هذا المعلوم والمؤكد الذي كأنه معلوم من الدين بالضرورة عند الشيخ !) أن طائفة معلومة (!) من الزنادقة الباطنية دسوا ما شاؤوا أن يدسوا في كتبه (ما أسهل الدس في كتب المشبوهين !). من ذكر ذلك؟ ذكره صاحب (نفح الطيب)! وأكده صاحب شذرات الذهب! وأكده في قصة طويلة! الإمام الشعراني ، (لماذا الشعراني إمام ؛ والمقَّري وابن عماد ليسا إمامين؟!) وأين أكده الإمام الشعراني؟ في (اليواقيت والجواهر) ، وذكره الحاجي (1) خليفة في (كشف الظنون) ، بل وقاصمة الظهر أن ابن تيمية في مقدمة من يعلم أن تزويراً ودساً حصل في كتب ابن عربي ، (وهذا لا يشك فيه البوطي !) لكن ما الذي يمنع ابن تيمية من الاعتراف بهذا الذي لا يشك فيه البوطي؟! ليس غير حبه للتجني على غيره ، وكتمان الحق المعلوم ، والتشبث بالتخرصات التي لا دليل عليها ؛ أو شيئاً في معنى هذا!
ذكر الشيخ البوطي أسماء كل من صاحب »نفح الطيب« وصاحب »شذرات الذهب« وصاحب »اليواقيت والجواهر« وصاحب »كشف الظنون« فيمن أكد الدس في كتب ابن عربي ، ووجدنا - لدى رجوعنا إلى ترجمة ابن عربي في نفح الطيب ، الذي يعتبره الشيخ البوطي مصدراً يرجع إليه في هذا المجال - ما يلي :
»ومما نسبه إليه - رحمه الله تعالى - غير واحد قوله :

قـلـبي قطبي وقالبي أجفاني سري خَضِري وعينه عرفاني
روحي هارون وكليمي موسى نفسي فرعون والهوى هاماني

وذكـر بـعـض الـثـقـات أن هذين البيتين يكتبان لمن به القولنج في كفه ويلحسهما فإنه يبرأ بإذن الله تعالى قال: قال وهو من المجربات! وقد تأول بعض العلماء قول الشيخ -رحمه الله تعالى- بإيمان فرعون النفس، بدليل ما

سبق، وحكى في ذلك حكاية عن بعض الأولياء ممن كان ينتصر للشيخ -رحمه الله تعالى-«.***[نفح الطيب 2/372-1373]***
وقد عثرنا في نفح الطيب على غير هذه الطرفة مما لا نستطيع أن ننقله هنا لما فيه من نبو عن كل ذوق ، فليُرْجَع إليه في الجزء 2/383 من نفح الطيب ، وتبين لنا مما ينقله هذه المؤلف أنه لا يصح أن يعتمد قوله في هذه المسألة لأنه ناقل عن الشعراني فلا يصح أن يقال: ذكر ذلك المقري وذكره في قصة طويلة الإمام الشعراني ، فما عند المقري حول ابن عربي مصدره الشعراني وغيره من المخرفين.
أما الشعراني فشهادته في ابن عربي لا تقبل لأن ما يقال في منهج ابن عربي يقال في منهجه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهو متأخر عن ابن عربي، فبين وفاتيهما حوالي 335 سنة فهل نتعلق بالشعراني ونذر مؤرخاً ثقة كالذهبي مثلاً؟!
يقول الذهبي في ابن عربي:
»ومن أردأ تواليفه كتاب »الفصوص« فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر - نسأل الله العفو والنجاة ، فواغوثاه بالله! وقد عظمه جماعة وتكلفوا لما صدر عنه ببعيد الاحتمالات ، وقد حكى العلامة ابن دقيق العيد شيخنا أنه سمع الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول عن ابن عربي : شيخ سوء كذاب ، يقول بقدم العالم ، لا يحرم فرجاً.
قلت : (أي الذهبي): إن كان محي الدين رجع عن مقالاته تلك قبل الموت فقد فاز ، وما ذلك على الله بعزيز«.
ونحن هنا لا نحقق بل نشير فقط إلى أولية من أوليات البحث العلمي وهي : إذا أردنا اعتبار آراء في شخصية ما فأول ما يجب أن ننظر فيه مدى قرب هذه الآراء من حيث الزمن من الشخصية المتناوَلة ، ثم مدى وثاقتها وذلك بمعرفة درجة أصحابها وقيمة آرائهم في ميزان العلم ، فلا نقبل مثلاً بتزكية صاحب بدعة لرأس في بدعته ، كما يرفض رأي المتحامل فيمن عرف بالتحامل عليه ، فلا بد من النظر في الجذور ، وفي أقوال أهل العدالة والضبط ممن لا تعنيهم الأسماء أيا كانت ، بل يعنيهم الحق ويدورون معه حيث دار.
وقد كان على الشيخ البوطي - حفظه الله - قبل أن يشير إلى صاحب نفح الطيب وصاحب شذرات الذهب وصاحب اليواقيت والجواهر ، وصاحب كشف الظنون أن يذكر لنا رأي ابن عبد السلام ، وابن دقيق العيد ، والذهبي ، وابن حجر ، ولا عليه بعدها أن لا يتعرض لابن تيمية من قريب ولا من بعيد ، لماذا لم يفعل ذلك؟ هل يتمذهب هؤلاء النفر الكرام بالسلفية التي اعتبرها بدعة طارئة تمزق وحدة المسلمين ؛ وتقف حجر عثرة أمام المد الإسلامي؟!
ثم إنه يفهم من هذه الحاشية أنه يعتقد أن ابن تيمية يكفر ابن عربي ، اعتماداً منه على رأيه في هجوم ابن تيمية على تكفير العلماء لأدنى شبهة ، وقد بينا

خطأ هذا الرأي في المقالة السابقة وأن ابن تيمية من أكثر الناس احتياطاً ودقة في هذا المجال ، ولعل الذي يدفع البوطي إلى هذا الاعتقاد عدم تفريقه بين قول: هذا القول لفلان كفر أو فيه كفر ، والقول بأن فلاناً كافر.
إن القول الذي هو في نفسه كفر؛ أو المؤدي إلى الكفر ينبغي أن يبين غاية التبيين، ويحذر منه أشد التحذير -وهذا ما يفعله ابن تـيـمـية عادة في نكيره على هذه الأقوال ومناصريها، وذلك أنـه يـرنـو من خـلال كـل كـتاباته وآثاره إلى قضية جوهرية هي الجانب العملي من الفكر الإسلامي ، والبعد عن الترف الـفـكـري ، والخوض فيما لا فائدة منه ، والدفاع عن عـقـائـد الإسـلام وأحـكـامـه ضـد المؤثـرات الدخيلة الضارة، ووضع المسلمين على الجادة الصحيحة التي يفهمون فيها دورهم ، ويدركون ما اختصوا به من دون الأمم.
وعلى هذا ينبغي أن يفهم إنكاره التالي على القائلين بوحدة الوجود، وعلى من يلتمس الأعذار لهم:
»وأما من قال : لكلامهم تأويل يوافق الشريعة فإنه من رؤوسهم وأئمتهم ، فإنه إن كان ذكياً فإنه يُعَرَّف كذب نفسه فيما قاله ، وإن كان معتقداً لهذا باطناً وظاهراً فهو أكفر من اليهود والنصارى.
فمن لم يُكَفِّر هؤلاء وجعل لكلامهم تأويلاً كان عن تكفير النصارى بالتثليث والاتحاد أبعد«. [مجموع الفتاوى 2/133]
أما عن ابن عربي بالذات فيقول: »مقالة ابن عربي في فصوص الحكم : وهي مع كونها كفراً فهو أقربهم إلى الإسلام ؛ لما يوجد في كلامه من الكلام الجيد كثيراً ولأنه لا يثبت على الاتحاد ثبات غيره ، بل هو كثير الاضطراب فيه ، وإنما هو قائم مع خياله الواسع، الذي يتخيل فيه الحق تارة والباطل أخرى والله أعلم بما مات عليه«. [مجموع الفتاوى 2/142].
فانظر كيف يفرق بين المقالة وبين صاحبها ، وكيف ينصفه فينسب إليه كثرة الجيد في كلامه ، وبأنه لا يثبت على الاتحاد مثل غيره من القائلين بوحدة الوجود ، وكيف أنه لا يغمطه حقه ولا ، يهضمه مميزاته التي امتاز بها كسعة الخيال ، وكيف يجوز أنه قد يكون تاب من أقواله المنكرة تلك.

أوهام على قواعد وهمية :

إن الشيخ فيما يكتب لا يرمي إلى دفاع عن هذا العالم أو ذاك ، وليس هو بصدد الإحسان إلى الغزالي أو ابن حزم أو ابن عربي؛ إنما يرمي إلى هدف محدود جداً يعرفه كل من تصفح كـتـابـه هـذا، وهـو الهـجـوم على قوم خطّؤوه وعقبوا على قول أو أقوال له، وقد اشتهروا بأشـيـاء ، فهو يظن أنه إذا تتبع هذه الأشياء وحاول أن يهوِّن من شـأنها سيصيب ضالته، وهـي إخـمـاد صـوت هـؤلاء وتـشـويـه صـورتـهـم، فـتراه يعنِّي نفسه هذا العناء، ويخوض مخاضات تكشف دعاواه ، وهو لا يحاول أن ينجو من واحدة إلا ويرمي نفسه في أخرى ، هدانا الله وإياه.

لو كان يرمي إلى تجلية شبهات ، والرد على أخطاء ، والدفاع الصحيح عمن يدعي الغيرة عليهم والغضب لهم لكان هناك طريق آخر لذلك يتمثل في تحديد القضية المختلف عليها ، وإزالة الإبهام عنها عن طريق نقل آراء كل من الفريقين فيها ، ومناقشة كلام كل منهما »حسب منهج المعرفة وقواعد تفسير النصوص« التي دندن بها كثيراً في كتابه ، ولكن شيئاً من ذلك لم يحصل .
والعجيب منه أنه يوهمك أنه ينطلق في أحكامه هذه من قواعد ؛ حيث لا قواعد! ويضع نفسه في مكان القاضي الذي يمسك بالميزان الذي يزن به ابن تيمية مرة ؛ وابن عربي مرة، أسمعه يقول :
»ولقد حكمت هذه القاعدة في حق ابن تيمية ، قبل تحكيمها في حق ابن عربي« ما هذه القاعدة الشرعية؟ وهل مر لها ذكر؟! وبناء على هذه القاعدة الوهمية يرى أن ابن تيمية يقر الفلاسفة في اعتقادهم بالقدم النوعي للمادة (وقد تبين لنا مبلغ هذه الدعوى من الصحة في المقال السابق) ثم يؤكد بصلافة أن ما توصل إليه ؛ مما يحلو له أن يلصقه بابن تيمية ليس أقل خطورة وجلاءً من الكفر الذي تتضمنه عبارات واردة في كلا ابن عربي! لماذا هذا التعسف كله؟ هل يريد أن يأخذ ابن تيمية رهينة ؛ فيهدده بالكفر والتضليل إن لم يقلع أتباعه عن القول بابن عربي ما يقولون؟! هذا ما تدل عليه حاشيته.
لكنه يحاول أن يظهر للقارئ شيئاً من الفروسية والعفو عند المقدرة ، وإن شئت فشيئاً من الورع عن التقحم بالقول بلا علم ، وذلك حين ينكص عن التكفير والتضليل تبعاً للقاعدة أو القواعد الشرعية الموهومة التي حكمها فتراه يقول : »ولكنا مع ذلك لم نجنح ، لهذا السبب (لا ندري أي سبب؟!) إلى تكفير ابن تيمية ولا إلى تضليله ، بل انطلقنا إلى النظر في ذلك من تحكيم القواعد الشرعية ذاتها! (ليلاحظ القارئ أنها كانت قاعدة ، ثم فرخت فأصبحت قواعد! وليحل بنفسه هذه الأحجية ، بل هذه المعجزة ، ولا يستغرب كيف تصبح القاعدة قواعد؛ فلعل هذا التكاثر حدث بانشطار الخلايا! ولا ينسى المعجزة الكبرى ، وهي أن القاعدة الشرعية الأولى لا وجود لها ؛ ومع ذلك فقد ولدت قواعد! من قال إن أدب اللامعقول لم يترك في الفكر الإسلامي الحديث بصمات؟!)

تسوية :

إن البوطي يحس بالمشكلة التي تحيط بالمقلدين الذين ربطوا أنفسهم بالأشخاص، فأصبحوا أسرى لكل ما يصدر عن هؤلاء الأشخاص، فبينما يحاول جاهداً أن يضع بين يديك منهجاً يعصمك من الخطأ، ويعترف انطلاقاً - من منهجه هو - أن في كتب ابن عربي كلاماً كثيراً يخالف العقيدة الصحيحة ويستوجب الكفر؛ (وهذه عبارته) تراه يلتف على هذا الاعتراف بطريقة بهلوانية لتفريغه من مدلوله ومحتواه ، وذلك :

1- بالإشارة إلى ما يناقضه من (البيانات المفصلة المكررة) الموجودة في كتب ابن عربي(2).
2- وبترداد خرافة الدس في كتب ابن عربي.
3- وبأن ابن عربي ليس بدعاً في أن يوجد في آثاره كفر وإيمان؛ فابن تيمية مثله عنده هذا وهذا!
ولا شك أن هذه النقطة الثالثة اكتشاف جديد فتح الله به على الشيخ البوطي ، وهو يحس بهذا الفتح، فتراه يبدئ فيه وبعيد، وكأنه يتصور أن هذا الفتح هو الذي سيلجم الخصوم، ويلقمهم حـجـراً لـن يـسـتـطيعوا بعده كلاماً ولن يحيروا جواباً ! وهو في غمرة نشوته بهذا الفتح الذي ادُّخر له إلى هذا العصر يسترسل في جلاء هذه النقطة حتى لا يبقى على عينها قشة! فيأتي ببدائع أخرى ما نظن أنه سُبق إليها ، فقضايا الكفر والإيمان داخلة في مبدأ حسن الظن ، والعقائد والعبارات الدالة عليها خاضعة - في رأيه - لأنواع من التأويل والاحتمال ، »وإن كان لا بد من تأويل العبارات الباطلة لتتحول إلى حق فنحافظ بذلك على حسن ظننا بصاحبها، أو من تأويل كلامه الحق ليتحول إلى باطل فنجعله معتمدنا في إساءة الـظـن بـه ، فـإن ممـا لا يـرتاب فيه المسلمون قط (لاحظ هذا الجزم) أن الواجب هو تأويل الباطل بما يتفق مع الحق الذي عرف الرجل به لا العكس«.
إن هـذا الـعـبـث الـذي يـلـبـسـه الـبـوطـي ثوب الجدية يلتقي مع العبث الذي يهذي به اللادينيون الذين يهيمنون على أجهزة التوجيه والثقافة في ردهم على دعاة الإسلام ، مع فرق واحد وهو أن البوطي يجعل من هذا الكلام قاعدة يريد تطبيقها على ابن عربي وأمثاله ، وهم يطبقونها على أنفسهم، ويطاردون بها من يقـف في وجه ميوعتهم وزندقتهم، حيث إن كثيراً منهم يحمل أسماء إسلامية، وقد يقوم ببعض الشعائر الإسلامية، في الوقت الذي يلاحق فيه كل قضية إسلامية عملية وحيوية ، فإذا ما قال لهم أحداً لا ؛ جابهوه بهذا الكلام الذي يختلط فيه الحق بالباطل ، ويستشهد فيه بالحق على الباطل ، والذي ينبع خطره من التوائه وغموضه واستشهاده بمسلَّمات إسلامية من أجل التحلل من الإسلام. وهؤلاء العلمانيون اللادينيون لا يخفون إعجابهم بمثل ابن عربي الذي يهتف بمبدئهم ودينهم :

لـقــد صــار قـلـبي قابلاً كل صورة فـمـرعـىً لـغـزلانٍ وديـرٌ لـرهــبـانِ
وبــيــتٌ لأوثـانٍ وكـعـبـة طـائــف وألـواحُ تـوراةٍ ومـصـحــفُ قــرآنِ
أديـنُ بـديـنِ الحـبِّ أنَّى توجهتْ ركائِبُهُ ، فالحبُّ ديني وإيماني(3)

إن هذه السنة التي يستنها البوطي؛ وهي وجوب تأويل الباطل ليتفق مع الحق؛ فيها من الـجـرأة بـقـدر مـا فـيـهـا من الـجهل ، فضلاً عن أنها مستحيلة عند التطبيق ، حتى من قبل الدعاة إليها. فسلوك البوطي مع خصومه مخالفة عملية لهذه السنة التي يرفع لواءها، فهل هو يحمل باطل خصومه على ما

يعرفون به من حق حين يطلق لسانه فيهم وينعتهم بما ينعتهم به؟! وهبه اطلع على ما نكتبه حول كتابه الذي ما أحببنا - والله - أن يكون قد كتبه ، لما فيه من الإساءة إليه وإلى لقبه العلمي ، ووددنا لو تصدق فيه أسطورة أن هذه الترهات قد دُسَّت عليه ، كما يصدِّق هو هذه الأسطورة في كتب ابن عربي ، .. نقول : هبه اطلع على هذه المقالات في نقد ما كتب ؛ فكيف سيستقبلها؟ هل سينشرح لها صدره ويحسن الظن بكاتبها؟! إن ما عرف به مخالف لهذه السنة التي يبشر بها.

إن هذه الدعوة هدم لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل إماتة للفكر الصحيح البعيد عن الزغل في دنيا المسلمين ، وإشاعة لمبدأ: »أغمض عينيك واتبعني« ، وترك الحبل على الغارب لكل من يقول قولاً دون الالتزام بمبدأ خير القرون ، فمهما قرأ المسلم أو سمع عن شخص قال كذا وكذا - مما فيه نظر - فليس له أن يستجلي حقيقة هذا القول بل عليه أن يذهب ويفتش ملف هذا الشخص : هل فيه شيء من الخير ، فإن وجد خيراً فليسكت ، حملاً لما سمع من الباطل على ما وجد من خير و (ظُنَّ خيراً ولا تسأل عن الخبر) ، وإلا فهو سيئ الظن بالناس ، متعرض لما لا يعنيه ، وهكذا لن يبقى هناك من يشار إلى أنه أخطأ في مسألة ، أو ترتب على رأي غير سديد له مشكلة ، أو سرت آثار بدعته في الأمة حتى اتسع الخرق على الواقع ، وأصبح اقتلاع هذه البدعة متعسراً أو متعذراً ، وهكذا سيجلس أمثال : الجعد بن درهم ، والحلاج ، وابن عربي ، وابن الراوندي ، والنصير الطوسي ، مع مثل : أبي حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد ، وابن المبارك ، والليث بن سعد.. إخواناً على سرر متقابلين! حيث إنه من »المعلوم والمؤكد« أن كل من قيل فيه أو أنكر عليه شيء في التاريخ الإسلامي لا يخلو من جانب من جوانب الخير ، حتى اللصوص وقطاع الطرق والظلمة والطغاة في كل عصر لا يخلون من ذلك ، بل إن البدعة لا يصعب تمييزها ويقع الناس فيها إلا لخفائها عليهم من جراء اختلاطها بجانب من جوانب الخير ، فهل نترك القول في ذلك حتى لا نرمى بإساءة الظن ، وهل ترك هو النكير على مما سماه (بدعة السلفية) حتى يكون لدعوته وثاقة؟ ليتذكر القارئ ركن : »التخبط والتناقض« من أركان منهج البوطي.

ألا يعلم الشيخ أن علماً قائماً بنفسه ، خاصاً بالمسلمين ، ومفخرة من مفاخرهم قد قام على ما يخالف دعوته هذه ، وهو علم الجرح والتعديل؟ وهل على ما استشهد عليه يُسْتَشْهَدُ بالآية الكريمة : ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إثْمٌ))؟!

ابن تيمية تحت طائلة التهديد:

ثم يختم حاشيته بـتـهديد ابن تيمية بأن يضعه تحت طائلة التكفير ، أو بكف الإشارة إلى كفريات ابن عربي، لأنه إن لم يفعل ويرتدع عن التعرض لابن

عربي ؛ يكون قد جنى على نفسه بنفسه (والبوطي لا ذنـب لـــه في ذلك) ودعا الناس (بلا ريب) أن يكفروه بسبب ما عنده من ضلالات فلسفية! لكن يا لهـــول هذه الخاتمة ويا لسوء عاقبة من يأخذ بها! إنه الورع يأخذ بحجزة الشيخ البوطي أن يـقــتـحـم هذه المخاضة! وهو الورع نفسه يفتقده ابن تيمية فيأبى إلا أن يحملنا على تكفير ابن عربي. هذا وجه من وجوه فهم عبارة الشيخ!

ولكن مهلاً ، هـنــاك وجه آخر ؛ كيف يتورع البوطي ويتحرج من شيء لا يد له فيه ولم يفعله هو ، بل هو »دعوة بلا ريب من ابن تيمية« إلى تكفير ابن تيمية؟! أرأيت؟! ابن تيمية يدعـــــو الناس إلى تكفيره ويلح عليهم أن يدعوا إلى تكفيره ولكن الشيخ البوطي يشهد: »أن دين الله عز وجل يأبى أن ندعو بهذه الدعوة ، كما أنه يحذر من الانصياع لها«.

فالورع إذن لـيــس من أجل سواد عيني ابن تيمية خوفاً من أن يظلم أو يُفترَى عليه ؛ بل تورعاً عن استجابة دعوته الملحة للناس أن يكفروه! فأي جريمة وأي ذنب يماثل ذلك؟! وكيف يقدم مثل البوطي على ذلك؟ هاهنا الورع يتدخل ، فيحل المشكلة!

هـــذا كــلام لــه خَــبـئٌ مـعـنـاه لـيـسـت لـنـا عـقـول!

وبقي غموض يسير يحتاج إلى تجلية وهو مرجع الضمير في الفعل »نكـفــره« من قوله : »فإنها لدعوة منه بلا ريب إلى أن نكفره« فقد رجعته حينما شرحت كلامه إلى الـنـاس (ومـنـهـــم الـبـوطي) ، وقد يكون مرجعه الشيخ البوطي نفسه فقط! كما يقال : نحن الملك ، أو نحن رئيس الجمهورية نرسم بما يلي ، وأي المعنيين اختار القارئ فهو مصيب ، ويصعب على الناقد الحكم : أي المعنيين أبلغ!

عود على بدء :

ولكن عجباً! يبدو الشيخ البوطي وكأنه يكتب رسالة تهديدية إلى ابن تيمية، وبينهما قرون طويلة! ألا يعلم الشيخ - أطال الله عمره - أن ابن تيمية الآن في مقام الذي لا يستطيع أن يقبل أو يرفض فيوجه إليه هذا الإنذار النهائي؟! إنه الأدب يا صاحبي.

ومـن صَحِـبَ الليـالي عَلَّمَتْهُ خداعَ الإلفِ والقيلَ الُمـحـالا
وغيَّرت الخطوبَ عليه حتى تـريـهِ الـذرَّ يحـمـلـنَ الجْبالا

خاتمة التعليق على الحاشية :

أنت - أيها القارئ الكريم ، أمام البوطي - أحد رجلين :

1) إذا لم تعجز عن تصديق ما يقول ؛ وساعدتك قواك العقلية والنفسية على الإيمان بأن قوله هو المتفق مع كتاب الله ، والمنسجم مع هدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فأنت متدبر للحق ، محرر قلبك من شوائب :العصبيات والأهواء.

2) وإذا - لا سمح الله - عجزت عن ذلك لسبب من الأسباب - والأسباب كثيرة! - فأنت على الضد من ذلك، يقول: »ولعل كل متدبر للحق، محرر قلبه من شوائب العصبيات والأهواء ، لا يعجز كل عن تصديق ما أقول ، وعن اليقين بأنه المتفق مع كتاب الله ، والمنسجم مع هدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم«.

إنها دعوة تهديدية للموافقة، فمن يحب أن يكون معرضاً عن الحق؟، مملوءاً قلبه بشوائب العصبيات والأهواء؟! لا خيار لقارئ الشـيـخ البوطي ، وكأن هذا الأسلوب التسلطي متأثر بالمناخ الذي يخيم على بلادنا العربية وشعوبنا الإسلامية، والاستفتاءات التي تطالعنا كل بضع سنين ، والتي لا خيار لك فيها إلا أن تقـول : نعم ، وإلا فأنت عميل ، أو خائن ، أو طابور خامس ، أو غير ذلك مما في معاجم تجار الشعارات من الأوصاف المقززة وعندها فالويل والثبور لك!

وقد تكرر منه أمثال هذه العبارات التي تدل بمنطوقها ومفهومها على أن طرق المعرفة كلها ينبغي أن تُسَدّ ، إلا ما يوصل إليه ، مع أنه يـنـعـى عـلـى هـــذا الأسلوب التسلطي الذي يمنيك وينعم عليك بكريم الأوصاف تحريضاً على موافقته على استنـتـاجاته ، فإن لم تفعل وكان عندك تحفظ ما؛ سلّط عليك عكس تلك الأوصاف صراحة أو بمفهوم المخالفة.

في العدد القادم الحلقة الأخيرة

الهوامش :

1- لا ندري لماذا أضاف (الـ) التعريف لهذا الشخص؟ لعله ليزيده تعريفاً وإلا فهو مشعور بدون (الـ) ، أو لعل الـ هربت من ابن العماد إلى حاجي خليفة.
2- يا ليت الشيخ ذكر لنا بياناً واحداً على سبيل المثال فقط ، ليكون قد قدم خدمة جُلّى لمن لا يقرؤون لابن عربي!
3- ترجمان الأشواق لابن عربي ص 19

خواطر في الدعوة

الحلقة المفقودة

محمد العبدة

قال صاحبي : عجيب أمر هذه الشـعـوب ، كيف تسكت على الظلم ، وترضى بالهوان بل بالفقر والجوع ، وكيف تسير مع أجهزة لإعلام أنَّى سارت!

قلت له : مع أنه هناك فرق بين بعـض الشعوب إلا أن كلامك في الجملة صحيح ، ولكنك يـا أخــي تـذكـر الشعوب ومن يظلمـها أو يسيرها بأجهزة إعلامه المرئية والمسموعة وتنسى حلقة بين هذين الـطـرفـين وهي إن كانت موجودة فوجودها ضعيف غير مؤثر ، وهي التي كان باستطاعتها أن تـكـون

لـهـا الكلمة المسموعة. نسيت يا أخي العلماء ، هؤلاء هم زعماء الأمة ، وورثة النبوة ، وهم الـمـوجهـون لها ، وهم الذين يحولون بين العشب وبين سقوطه فـريـسـة الاسـتـبـداد ، وهم الذين تتطلع إلـيـهـم الأمـة فـي الملمات والشدائد وحين تطل الفتن برأسها وحين تختلط الأمور ، وأعني بذلك العلماء المستقلين الذين يجمعون بين العلم والـديـن ويتكلمون كلمة الحق دون خوف أو وجل من قطع راتب أو تنحية عن مـنـصـب، هؤلاء قـلـة نـادرة الآن ، بل في بعض البلدان لا تجد لهم أثراً.ومن هذه القلة النادرة أناس عندهم حظ وافر من العلم والتقوى ، ولكنهم غمطوا أنفسهم فابتعدوا عن مجالات التصدي لزعامة الناس وكأنهم ظنوا أن هذا من طلب الشهرة ، ولهؤلاء نقول :
إن عـلاقـة الـعـلـمـاء بجماهير الأمة ستجعل لهم وزناً ويحسب لرأيهم حساب، »فهم على الـحـقـيـقـة أصحاب الأمر استحقاقاً ، وذوو النجدة مأمورون بارتسام مراسمهم واقتصاص أوامرهم والانكفاف عن مزاجرهم«(1).
لقد بذلت الحركات الإسلامية جهوداً في مـحـاولة استئناف حياة إسلامية ولكنها لم تملأ هـذا الـفـراغ بـإبـراز عـدد مـن الـعـلـماء الربانيين الذين يفزع الناس إليهم ويسمعون منهم ويـتـبـعـونـهـم، وهؤلاء هم الذين يبعدون الشعب عن اتباع كل ناعق، هؤلاء العلماء إذا لم يـكـونـوا مـوجـوديـن في قطر من الأقطـار فيجب علينا إيجادهم ونعد لهذا باختيار الطلبة الأذكياء ودفعهم إلى تعلم العلم الشرعي والـتـبـحر فيه ومعرفة الواقع ليصبحوا محط أنظار الشعب يسألهم عما يفيده في دينه ودنياه ، وعما ينجيه من النار ويدخله الجنة.

الهوامش:

1- الغياثي لأبي المعالي الجويني ص 95.

من مفاهيم العبودية

دعاء الاستخارة

معن عبد القادر

الـدعـاء عـنـد الاسـتـخارة صلة بين العبد وربه في كل أمر يقدم عليه ، يستعينه ويستهديه ويسترشده، وفيه آداب إسلامية جمة. وفوائد نفيسة، وقد حــــرص، الرسول -صلى الله عليه وسلم- على أن يعلمه أصحابه.
فعن جابر -رضي الله عنه- قال : »كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يعلمنا الاستخارة في الأمـور كـلـهـا كالـسـورة مـن القرآن يقول : (إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الـفـريـضـة ثـم لـيقـل : اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم ، فـإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب ، اللّهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر - وتسمه

باسمه - خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري وعاجلة وآجله فاقدره لـي (ويسـره لي ، ثم بارك لي فيه)* ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعـاقـبة أمري وعاجله وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه ، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به«(1).

فوائد الحديث :

أولاً: آداب الدعاء.

في هذا الحديث جملة من آداب الدعاء أولها:
أن يقدم المسائل بين يدي دعـــائه ثناءً على الله عز وجل بما هو أهله والله سبحانه يحب المدح والثناء مـــن عـبـــاده وهذا أدب لا يكاد يخلو منه ذكر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ودعائه ومنها أن يقدم بين يدي حاجته عملاً صالحاً كما أرشد الرسول -صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث الـــداعي أن يركع ركعتين قبل دعائه ، وهناك أمثلة أخرى مشابهة كصلاة التوبة وصلاة الحاجة..
»قال ابن أبي حمزة : الحكمة في تـقـديـم الـصـلاة على الدعاء أن المراد بالاستخارة حصول الجمع بين خيري الدنيا والآخرة ، فيحتاج إلى قـــرع باب الملك ولا شيء لذلك أنجع ولا لأنجح من الصلاة لما فيها من تعظيم الله والثناء عليه والافـتـقـــــار إليه مآلاً وحالاً. وقال النووي في (من غير الفريضة) »لو دعا بدعاء الاستخارة عقب راتبة صــــلاة الظهر مثلاً أو غيرها من النوافل ، الراتبة والمطلقة ، سواء اقتصر على ركعتين أو أكثر أجـــــزأ« قال بن حجر معقباً »إن نوى تلك الصلاة بعينها وصلاة الاستخارة معاً أجزأ بخلاف ما إذا لم ينو.. ويبعد الإجزاء عمن عرض له الطلب بعد فراغ الصلاة لأن ظاهر الخبر أن تقع، الـصــــلاة والدعاء بعد وجود إرادة الأمر«.
ومن آداب الدعاء بين يدي الله أن يظهر العبد فقره وعجزه وانكساره وذله وحاجته إلى ربه كما في الحديث »فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم«.
ومنها رد الحول والقوة إلى الله ، وفي الحديث تطبيق فعلي لمعنى »لا حول ولا قوة إلا بالله« التي كثيراً ما يرددها المسلمون وقل ما يفهمون معناها ، فانظر كيف يتبرأ العبد من الحول ويرده كله إلى الله حين يسأله أن يقدر له الأمر إن كان خيراً ، ثم يبارك له فيه ، فإن كان شراً يصرف الأمر عنه ويصرفه عن الأمر ثم يقدر له بدل خير ويرضيه به فالحول كله لله.
ومـــــن أعظم الآداب سؤال الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى بما يتناسب مع الحاجة، وهــذا أحفظ لحرمة أسماء الله وصفاته وأقوى في تدبر معانيها فإن القائل »يا جبار يا منتقم اغـفـــر لي« أنَّى له أن يفقه معنى المغفرة والجبروت ، وهو أيضاً أدعى للإجابة وفيه تربية للنفوس على التجاوب مع مقتضيات الأسماء والصفات.

فتأمل مــا أشـــد مناسبة صفات العلم والقدرة والفضل لطلب الخير في أمر ما ، فإن السائل حين يطلب أن يُـكـتـب لــه الأمر إن كان خيراً وأن يُصرف عنه إن كان شراً وأن يُقدر له الخير حيث كان فمثل هذا لا يتحقق إلا إذا كان المسؤول عليماً بما هو خير للسائل وما هو شر له ، وقديراً حتى يقدِّره ويجعل للعبد قدرة عليه ثم كريماً متفضلاً حتى يعطيه.
ومن طريف ما يروى في هـــذه المناسبة أن رجلاً من الأعراب كان يستمع إلى الأصمعي يتلو ((والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْـدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ **والله غفور رحيم**)) فقال كلام من هذا ، قال الأصمعي كلام الله ، قال لا والله ما هذا كلام الله ، فأعادها الأصمعي وقرأ ((**واللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**)) فقال نعم عز فحكم فقطع ولو غفر ورحم لما قطع.
وانظر - يا أخي -كيف يعلمنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن نبدأ بسؤال الخير في الدين ، فإنه لا خير أعظم من سلامة الدين ولا مصيبة أطم من المصيبة فيه. فالواجب على العبد أن يعتني بدينه اعتناءه بسائر أموره ، بل أشد.

ثانياً: الاعتناء بالاستخارة :

كما في الحديث »يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن« قال ابن حـجـــر »قيل وجه التشبيه عموم الحاجة في الأمور كلها إلى الاستخارة ، كعموم الحـاجـة إلى القراءة في الصلاة« وقال ابن أبي جمرة: »التشبيه في تحفظ حروفه وترتـيـب كـلـمــاته ، ومنع الزيادة والنقص منه والدرس له والمحافظة عليه، ويـحـتـمـــل أن يكون من جهة الاهتمام بــه، والتحقيق لبركته والاحترام له.. قال الطيبي : فيه إشارة إلى الاعتناء التام البالغ بـهــــذا الـدعـــــاء وهذه الصلاة لجعلهما تِلْوَيَّن للفريضة والقرآن«. فلا تفرط - أخي في الله - فيما أرشدك رسولك لأن تحرص عليه مثل هذا الحرص.

ثالثاً: في أي شيء يستخير :

جاء في الحــديـث »فـي الأمـــور كلها« قال ابن أبي جمرة : »هو عام أريد به الخصوص فإن الواجب والمستحب لا يسـتـخـار في فعلهما والحرام والمكروه لا يستخار في تركهما« ذلك أن الله قد خار لنا في ذلك حين شــرع لنا أمر ديننا ((ومَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ ولا مُؤْمِنَةٍ إذَا قَضَى اللَّهُ ورَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ)). فإذا أقـدم المـسـلــم على أمر سأل عن حكم الإسلام فيه ، فإن كان للإسلام حكم فيه بفعل أو ترك فقد قـضي الأمر وما على المسلم إلا أن يمتثل ، ويشمل ذلك الأمور المستحبة ، فلا يستخير لقــيـــام الليل ولا لصيام الاثنين والخميس ، إذ في ذلك خير حتماً ، فتبقى الاستخارة في كل الأمور المباحة التي لا يقطع بكونها خيراً أو شراً إلا عالم الغيب. كم من الأمثلة على أمور ظن الإنسان فيها خيره فإذا فيها ضرره والعكس ، والله يقول :((وعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وهُـــــوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وعَسَى أَن تُـحِـبُّـوا شَيْئاً

وهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ واللَّهُ يَعْلَمُ وأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ)) فلا ينبغي للمسلم أن يزهد في الاستخارة في أي أمر »ويتناول العموم العظيم من الأمور والحقير ، فرب حقير يترتب عليه الأمر العظيم« وتكون الاستخارة أيضاً (في المستحب إذا تعارض منه أمران أيهما يبدأ به ويقتصر عليه).
ولا يقدم الكثير على الاستخارة إلا في حال التردد ، أما حين يظهر له الخير في أمر فإنه يغفل عن الاستخارة ويمضي في أمره معتمداً على علمه متكلاً على حوله وقوته ، معرضاً عن هدي نبيه -صلى الله عليه وسلم-.

رابعاً : وماذا بعد الاستخارة ؟

فإذا استخار المسلم ربه فإنه يمضي عازماً على أي أمر يراه ، متوكلاً على الله في تحقيقه جازماً أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وليس شرطاً أن يأتيه بعد استخارته إلهام أو رؤيا صالحة أو أمر لا يعتاده وإن كان شيء من ذلك قد يقدره الله.
ولما ظن بعض الناس ذلك ولم يجدوه بعد الاستخارة ، ذهبوا إلى تكرار الاستخارة مرة بعد أخرى وإن كان تكرار الاستخارة في المسألة الواحدة قد أفتى بعض العلماء بجوازه من الناحية الفقهية ، ولكن تكرارها بدافع التجربة والمحاولة ليس جيداً ، بل قد يوقع الإنسان في اليأس والقنوط وسوء الظن بالله. ولذلك فإن بعض من أفتى بجواز التكرار قيده بقيد من لم تطمئن نفسه لصلاته الأولى.
فالاستخارة -في جوهرها- تربية إيمانية قلبية يقدم الإنسان على أمره بعدها واثقاً بأن ما يمضي فيه هو الخير ، لأنه قد استخار ربه وهو يحسن ظنه بربه أنه قد خار له، وحينئذ حتى لو واجه عقبات وصعوبات ومشاكل فيما أقدم عليه فإنه لا يسيء الظن بربه لأنه أولاً لا يدري ما كان سيجده لو قدر له الأمر الآخر ، وثانياً فالمؤمن لا يقيس الخير بالماديات وإنما بما يكون في عمله من بركة في الدنيا وأجر في الآخرة. فلعل المصائب هي الخير له إذ فيها تكفير للذنوب ورفع للدرجات حين الصبر عليها .
وحين يصل المؤمن إلى هذا الفقه لمعنى الاستخارة وما يترتب عليها ، فحدث كما شئت عن مدى ارتياحه واطمئنانه وصبره على جميع أموره إذ يؤمن - وقد سبق أن استخار ربه بصدق - أن ما هو فيه هو خيرة ربه له ، وذلك يورث من الاطمئنان والرضا بما يكون فوق ما يورثه شعوره أنها مجرد قدر الله له ، فلا يندم ولا يتحسر ولا يقول لو... لو....
وينعكس أثر هذا على شخصيته ، فيظهر دائماً واثقاً عازماً لا متردداً قلقاً.
هذه بعض الآداب والتوجيهات في هذا الحديث العظيم الذي هجره كثير من الناس وأعرض عنه زهداً فيه وغفلة عن لجوئهم إلى ربهم. اللهم توكلنا عليك وفوضنا أمورنا إليك، إلهنا دبر لنا فإننا لا نحسن التدبير وخذ بأيدينا إلى كل خير.

الهوامش :
*زيادة من رواية في كتاب التوحيد.
1- رواه البخاري في كتاب الدعوات 11/183 باب الدعاء عند الاستخارة.

الشورى.. هل نلتزم بها؟ (2)

محمد العبدة

لا يرتاب عاقل أن من أشـد الأمراض فتكاً بالأمة مرض الاستبداد ، واستمراء الشعب للذل والخنوع أمام دول متجبرة متكبرة.
وقـد جـاء الإسـلام مـضـاداً لكل هذه الأدواء ومزيلاً لها. كانت شعوب المناطق التي فتحها الإسـلام خـاضعـة لرؤساء السياسة والدين خضوعاً مذلاً ، فأزاح الإسلام هذا الداء بتكريم الإنسان والتشنيع على المتبوعين الذين يوردون شعوبهم موارد الهلاك، ولكن عندما ضعفت قـلـيـلاً روح الإسـلام الحـقـيـقـيـة رجع هذا الداء لأنه كان مستحكماً من قبل ، وعادت الكسروية والقيصرية.
وفي مـحـاولـتـنا الآن للـنـهـوض واستئناف حياة إسلامية لا بد من معالجة هذا الداء الذي أصاب كل شيء »إذ لا يعقل أن ترقى أمة وحقوقها مهضومة وأفرادها مظلومة«(1).
والدواء هو الشورى بكل معانيها بدءاً من الاستشارة والاستفادة من كل رأي حكيم ، وحتى الشورى بمعناها السياسي الإداري.
ومـتـابـعـة لما سـبق نكمل سرد ما قيل في آيتي الشورى ، ونذكر تطبيقات الشورى في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعهد الخلفاء الراشدين.

جاء في تفسير الكشاف للزمخشري:

»إذا قـطـعـت الـرأي عـلـى شيء بعد الشورى فتوكل على الله في إمضاء أمرك على الأرشد الأصلح«(2)

ابن عطية:

»والـشـورى مـن قـواعـد الـشـريـعـة وعزائم الأحكام ومن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب ، هذا ما لا خلاف فيه«(3)
((وأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ)): »أي لا ينفردون برأي ما لم يجتمعوا عليه«(4)
والـشـــورى صفة من الصفات المميزة للمسلمين ذكرها الله عقب الصلاة وقبل الزكاة في قوله تعالى: ((والَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وأَقَامُوا الصَّلاةَ وأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)) وهذا يدل على بالغ أهميتها(5). وقد جاء في السنة عن عبد الرحمن بن غَنمْ عن رسول الله -صلى الله عـلـيـــه وسلم-: »لو اجتمعتما على مشورة ما خالفـتـكما«(6) يعني بذلك أبا بكر

وعمر. وروي عن أبي هــريرة قوله : »ما رأيت أحداً أكثر مشاورة من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه«.

التطبيق العملي لمبدأ الشورى في سيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم-:

1-في غزوة بدر:

استـشـــار الرسول -صلى الله عليه وسلم- الصحابة في قتال قريش وذلك قبل بدء المعركة وهو في طـريقه إلى بدر ، فتكلم كبار الصحابة كأبي بكر وعمر والمقداد بن الاسود وسعد بن معاذ وسُرّ الرسول -صلى الله عليه وسلم- من كلامهم وقال لهم : »سيروا وأبشروا«(7).

2- غزوة أحد:

استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه أيخرج إلى قريش أم يمكث في المدينة ويقاتلهم في الطرقات ، وكان رأيه ألا يخرجوا من المدينة، ولكن كثيراً من الصحابة وخاصة الشباب منهم ألحوا عليه في الخروج، فـعــزم على الخــــروج والتقوا عند سفح أحد(8) وبعد هذه الغزوة نزلت آية ((وشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ)) تأكيداً لمبدأ الشورى.

3- غزوة الخندق:

لما سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بمسيرة الأحزاب إليه وتألبهم على المسلمين ، استشار الصحابة، فأشار عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر الخندق(9) وعندما بلغ الضيق بالمسلمين مــا بلغ أراد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- التخفيف عنهم ، فعرض على رؤساء غطفان - وهـــم من الأحزاب - أن يعطيهم ثلث ثمار المدينة على أن ينصرفوا ويتركوا القتال ، واستشار رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فقالا: يا رسول الله إن كـــان الله أمرك بهذا فسمعاً وطاعة ، وإن كان شيئاً تصنعه لنا فلا حاجة لنا به ، والله لا نعطيهم إلا السيف ، فصوّب رأيهما(10).

غزوة بني المصطلق :

في هـــذه الـغـزوة وقـــع حديث الإفك الذي تولى كبره زعيم المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول، وأبطأ الوحي فـي بـراءة عــائشة رضي الله عنها ، فشاور الرسول -صلى الله عليه وسلم- علياً بن أبي طالب وأسامة بن زيد، فيما رمى أهل الإفك عائشة ، فأما أسامة فأشار بالذي يعلم من براءة أهله، وأما علي فقال: لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير،واسأل الجارية تصدقك(11).

صلح الحديبية:

عندما علم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن قريشاً جمعت له الجموع وأنهم سيصدونه عن البيت وقد جاء معتمراً قال: أشيروا عليّ أيها الناس، أترون أن أميل إلى عيال وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت؟

فقال أبو بكر: يـا رســــول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا ضـــرب أحـد فتوجه له، فمن صدنا عنه قاتلناه، قال: فامضوا على اسم الله(12).
وعـندما تم الصلح على أن يرجع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه هذه السنة، أمـــر الرسول -صلى الله عليه وسلم- الصحابة بالنحر والحلق والتحلل من العمرة ، فلم يقبل أحـــد ما أمر به فدخل على أم سلمة وكلمها في ذلك ، فأشارت عليه أن يخرج ولا يكلم أحداً ، ويحلق ويذبح ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً(13).
فإذا كان رســـول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو المسدد بالوحي المبلغ عن الله شرائعه ودينه ، وهو من هو في كمال صفاته البشرية ، ومع ذلك يكثر من المشاورة في الأمور العامة - فيما لا وحي فيه - وفي الأمور الخاصة ، فالعجب ممن يجعل الشورى من المندوبات إن شاء أقامها الحاكم وإن شاء تركها ، وهذا في الاستشارة فقط ، فكيف يتكلم عن الإلزام بها ، وكيف يستقيم حال أمة تحب الاستبداد!!

تطبيقات الشورى في عهد الراشدين:

لم ينص الرسول -صلى الله عليه وسلم- على من يخلفه في حكم المسلمين وإن كانت هناك إشارات واضحة على أن أبا بكر -رضي الله عنه- هو المؤهل لذلك ، وبعد المداولات التي وقـعـت فـي سقـيفـة بني ساعدة تم اختيار أبي بكر ، ثم بويع البيعة العامة في اليوم التالي فاختيار أبي بكر كــان عــن مـشــــورة من الصحابة وهم أهل الحل والعقل في عالم الدولة الإسلامية.
وأراد عـمـــر -رضي الله عنه- أن يرسخ مبدأ الشورى ويقطع ألسنة الذين يظنون أن بيعة أبي بكر كــانـت بـرجـــــل أو رجلين ويمكن أن يفعلوا مثل هذا ففي الحديث الطويل في البخاري من رواية ابن عـبـاس أن عمر قال : «.. ثم إنه بلغني أن قائلاً منكم يقول : والله لو قد مات عمر بايعت فلاناً، فـــلا يـغـتـرن امـــرؤ أن يقول إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، ألا وإنها قد كانت كذلك ، ولكن وقى الله شـــرها ، وليس فيكم من تقطع الأعناق إلـيـــه مثل أبي بكر ، فمن بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرَّة أن يقتلا..»(14)
ويقـصـد الخليفة الراشد عمر -رضي الله عنه- أن بيعة أبي بكر لم يحضر لها ويمهد لها، وأنها تمـت في ظـــروف صعبة كان لا بد أن يختار الخليفة حتى لا يقع الشقاق خاصة وأن الأنصار اجتمعوا ليبايعوا خليفة منهم ، فتمت مبايعة أبي بكر -رضي الله عنه- ووقى الله أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- شـــر الخلاف ، ولكن أبا بكر بويع بيعة عامة في اليوم التالي.

الهوامش:

1- محمد بن الحسن الحجوي / الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي 1/14

2- الكشاف 1/226
3- تفسير ابن عطية 3/280
4- التفسير الكبير للرازي 14/178
5- انظر الإسلام وأوضاعنا السياسية / عبد القادر عودة
النظريات السياسية الإسلامية / محمد ضياء الدين الريس
6- رواه أحمد ورجـالــه ثقات واختلف في صحبة عبد الرحمن بن غنم الأشعري ، وذكره العجلي في كبار ثقات التابعين.
7-مرويات غزوة بدر لأحمد محمد باوزير /144
8- انظر زاد المعاد 3/192
9- المصدر السابق 3/271
10- المصدر السابق 3/273
11- إبراهيم بن إبراهيم قريبي / مرويات غزوة بني المصطلق / 234-261
12- د. حافظ حكمي / مرويات غزوة الحديبية /165
13- المصدر السابق / 226
14- وقوله (تـغــرة) أن يقتلا: أي من فعل ذلك فقد غرر بنفسه وبصاحبه وعرضهما للقتل وذلك لمخالفة جماعة المسلمين وجمهورهم وانفرادهما واستعجالهما بالأمر دون مشورة عامة المسلمين.

من هدي السلف

النظر في مآلات الأفعال

د. حسن حسن إبراهيم

اعـتـبـار المـآل أصل من أصول الفقه جارٍ على مقاصد الشريعة ، ولا شك أنه لا بد لنا من مـعـرفـة هـذا الأصـل لـنـعـرف مـتى نـقدم؟ ومتى نحجم؟.. متى نصرّح؟ ومتى نلمَّح؟ متى نـواجـه؟ ومـتـى نكون من وراء الستار؟..وحتى لا نكون عبئاً على الحركة الإسلامية ، أو ثغرة تؤتى الحركة من قبلها!

يقول شيخ الإسلام ابن تيـمـيـة »مررت أنا وبعض أصحابى في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر فأنكر عليهم من كان معي فأنكرت عليه وقلت له : إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عـن ذكـر الله وعـن الـصـلاة، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال فدعهم«.(1)

يعلمنا ابن تيمية مراعاة مآلات الأفعال فإن كانت تؤدي إلى مطلوب فهي مطلوبة وإن كانت لا تؤدي إلا إلى شر فهي مـنـهـي عنها. ويعلمنا أيضاً أن الغاية من إنكار المنكر هي حدوث المعروف فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه فإنه لا يسوغ إنكاره.

ويقرر الإمام الشاطبي نفس الأصل فيقول : »النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعاً كانت الأفعال موافقة أو مخالفة*..وهو مجال للمجتهد صعب المورد إلا أنه صعب المذاق، محمود الغب (العاقبة) ، جار على مقاصد الشريعة«(2) .
ويقول في موضع آخر بعد أن يقرر أنه ليس كل حق ينشر ، وبعد أن يحكي كراهية الإمام مالك للكلام فيما ليس تحته عمل يقول : »فتنبه لهذا المعنى وضابطه أنك تعرض مسألتك على الشريعة فإن صحت في ميزانها فانظر في مآلها بالنسبة إلى حال الزمان وأهله ، فإن لم يؤد ذكرها إلى مفسدة فاعرضها في ذهنك على العقول ، فإن قبلتها فلك أن تتكلم فيها إما على العموم إن كانت مما تقبلها العقول على العموم ، وإما على الخصوص إن كانت غير لائقة بالعموم وإن لم يكن لمسألتك هذا المساغ فالسكوت عنها هو الجاري على وفق المصلحة الشرعية والعقلية«(3)

والأعمال بالنسبة لمآلها أربعة أقسام :

1- ما يكون أداؤه إلى الفساد قطعياً : كمن حفر بئراً في طريق المسلمين بحيث يقع فيه المارة.
فهذا ممنوع بإجماع الفقهاء.
2- ما يكون أداؤه إلى المفسدة نادراً : كزراعة العنب مع أنه قد يُتخذ خمراً فهذا حلال لا شك فيه.
3- ما يكون أداؤه إلى المفسدة من باب غلبة الظن كبيع السلاح وقت الفتن وبيع العنب للخمار وهذا ممنوع أيضاً.
4- ما يكون أداؤه إلى المفسدة دون غلبة الظن كالبيوع التي تُتَخذ ذريعة للربا وهذا موضع خلاف.(4)

وينبني على هذا الأصل القواعد الآتية:(5)

1) قاعدة سد الذرائع: وحقيقتها تذرع بفعل جائز إلى عمل غير جائز فالأصل على المشروعية لكن مآله غير مشروع ومن الأمثلة على ذلك :
* قوله تعالى : (ولا تَسُبُّوا الَذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ)). فالآية تمنع من الجائز لئلا يكون سبباً في فعل لا يجوز(6).
* أمر الشارع بالاجتماع على إمام واحد حتى في صلاة الخوف مع كون صلاة الخوف بإمامين أقرب إلى حصول الأمن وذلك سداً لذريعة الاختلاف والتنازع وهذا من أعظم مقاصد الشرع وقد سد الذريعة إلى ما يناقضه بكل طريق حتى في تسوية الصف في الصلاة(6).
* نهي المؤمنين في مكة عن الانتصار باليد لأن مصلحة حفظ نفوسهم ودينهم راجحة على مصلحة الانتصار والمقابلة(6).
* جاء في الحديث عن علي »حدثوا الناس بما يفهمون أتريدون أن يُكذب الله ورسوله«(7)

قاعدة الحيل -: وحقيقتها تقديم عمل ظـاهــــر الجواز لإبطال حكم شرعي وتحويله في الظاهر إلى حكم آخر كالواهب ماله عند رأس الحول فراراً من الزكاة فإبطاله نظر في المآل.
قاعدة الاستحسان : وحدها الأخذ بمصلحة جزئية في مقابله قياس كلي وحقيقتها منع القياس الذي يؤدي إلى قبيح أو بمعنى آخر ترك الـعـسر لليسر ، وهذا نظر في المآل.
إقامة المصالح الشرعية وإن عُرض في طريقها بعض المنـاكـر: كطلب العلم وإن كان في طريقه مناكر تُسمع وتُرى وكشهود الجنائز وإقامة وظائف شرعـيـــــة إذا لم يقدر على إقامتها إلا بمشاهدة ما لا يرتضى ، فلا يخرج هذا العارض تلك الأمور عن أصولها لأنها أصول الدين وقواعد المصالح وهو المقصود من المقاصد الشريعة فجيب فهـمـهــا حــق الفـهــم فإنها مثار اختلاف وتنازع وما ينقل عن السلف الصالح مما يخالف ذلك قضايا أعيان لا حـجـــة في مجـــــردها حتى يعقل معناها فتصير إلى موافقة ما تقرر إن شاء الله ، والحاصل أنه مبني على اعتبار مآلات الأعمال.. فاعتبارها لازم في كل حكم على الإطلاق.
أخيراً : من يتأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار يرى أنها من إضاعة هذا الأصل ويـرى مدى الحاجة إلى تلك القواعد الشرعية لتخليص الفكر والواقع الإسلامي من النزعة الشكلية التي أعجزته عن مواجهة الواقع مواجهة فعالة.

الهوامش :

1- أعلام الموقعين ابن القيم ج 3 ص ه
* فقد يكون العمل في الأصل ممنوعاً لكن يترك النهي عنه لما في ذلك من المصلحة.
2- الموافقات الشاطبي ج 4 ص 194 .
3- الموافقات الشاطبي ج 4 ص 191 .
4- أصول الفقه لأبي زهرة ص 289 باختصار
5- الموافقات الشاطبي ج 4 ص 198 بتصرف
6- أعلام الموقعين ابن القيم ج 3 ص 137 وما بعدها
7- الموافقات الشاطبي ج 3 ص 189

لمحات في طرق نقل التقنية والتخلف التقني في العالم الإسلامي

د.عبد الله بن صالح الضويان

إن الـتـجـارة بالـتـكـنولوجيا أسهل بكثير من مهمة امتصاصها من قبل الدولة المستوردة لـهـا. وأنه مع حلول السبعينات اتضح أن سياسة نقل التقنية إلى الدول النامية لم تنجح فقد تضخمت ديون هذه الدول وبدأت مشكلاتها الاجتماعية تتفاقم وآلت مشروعاتها إلى الهبوط .

ماذا نعني بنقل التكنولوجيا :

يمكن فهم نقل التكنولوجيا على مستوين(1):

1- المستوى المحلي : ونقــل التكنولوجيا على هذا المستوى يعرّف بأنه تحويل خلاصات البحوث العلمية التي تقوم بهــا الجامعات والمعاهد إلى منتجات وخدمات ويطلق على هذا النوع من النقل (النقل الرأسي) للتكنولوجيا.

2-المستوى الدولي : ونقل التكنولوجيا من دولة متقدمة قادرة على تحقيق (النقل الرأسي) فيها إلى دولة أقل تقدماً لم تستطع بعد إنجاز (النقل الرأسي) للتكنولوجيا فيها ومثل هذا النقل من الدولة المتقدمة إلى الدولة الأقل تقدماً يـأخـذ في أبسـط أشكاله نقل طرق وأساليب الـتـكـنـولـوجـيـا دون إجـراء أيـة تـعـديـلات لـتكييف هذه الطرق والأساليب مع الظروف الاجتماعية والاقتصادية والبيئية السائدة في الدول النامية. ومـثـل هـذا الـنقـل يطلق عليه عادة (النقل الأفقي) للتكنولوجيا. وبقدر ما يتم تعديل أو تكييف النقل الأفقي مع الظروف الـمـحـلـيـة بقدر ما يكتسب درجة أعلى من نمط (النقل الرأسي) وبالتالي درجة أعلى من النجاح في التوطّن.

ولقد وجد (مانسفيلد وآخرون) في بحث لهما أخيراً أن عمر التكنولوجيا المنقولة (من أمريكا إلى دولة مـتقدمة أخرى مثل بريطانيا) هو ست سنوات (وهي المدة بين إنتاج سلعة وخدمة مـعـيـنة بالـولايـات المتحدة ونقلها إلى الدولة المتقدمة المستوردة للتكنولوجيا) ، ويصل هذا الـعـمـر إلى 13 عاماً حينما لا يكون النقل عن طريق شركات أمريكية ولكن بطرق أخرى. أمـا فـي حـالـة الـدول الـنـامـيـة فيتطلب ذلك فترة تتراوح بين عقدين أو ثلاثة عقود من الزمن(2). فمثلاً يرى الدكـتـور عزّى(3) أنه من أجل صناعة متكاملة في النقل البحري في بـلـد مـثـل الـسـعـوديـة فـنـحـتـاج إلي 20 سنة نكون بعدها قادرين على امتلاك جزء من التكنولوجيا بجهد ذاتي وقادرين على الانتقال الرأسي.

أنواع التكنولوجيا :

يمكن التفريق بين ثلاثة أنواع من التكنولوجيا(4) وهي :

1- تكنولوجيا مادية (Hardware) متمثلة بالأجهزة والأدوات والمواد.

2 - المعلومات (Information)متمثلة بالمعرفة المسجلة أو المسموعة والتصاميم والمواصفات والاجراءات والأســاليـب الـخـاصــة بتطوير التكنولوجيا واستعمالها وتشغيلها وادارتها وتمويلها والتدريب عليها.
3- الخـبـــرة الفنية (Know-how) متمثلة بالاستخدام السليم للمعلومات وبالاتصالات الشخصية اللازمة لتشخيص المشكلات وتقديم الحلول لها.

قنوات وطرق نقل التكنولوجيا:

هناك عدة طرق وقنوات توصل التكنولوجيا إلى الدول النامية بعضها يلعب دوراً أساسياً في النقل والبعض الآخر يحظى بدور ثانوي (فأساليب النقل تعتمد على التقنية المراد نقلها).

ومن أهم القنوات ما يلي :

1 - الاستيراد :

فـمـن الـمـمـكـن الـحـصـول على أجهزة وآلات ومصانع جاهزة إذا توفر رأس المال ومعدات تـتـجـسـد فـيـهـا إلى حد بعيد التكنولوجيا التي انتجت بها. ومن محاسن هذه الطريقة أن المـسـتورد عادة ما يكون حر التصرف فيما يشتري إلى حد ما عندها تستطيع الدول النامية الـكـشـف عـن الـتـكـنولوجيا بطرق شتى ، منها فك الآلات والأجهزة إلى أجزائها ودراسة تركيبها وإعادة بنائها كما فعلت اليابان بنجاح من قبل. وفي حين أن درجة من هذا التقليد حـاصـلـة في بـعـض دول جـنـوب شرق آسيا (تايوان ، هونج كونج ، كوريا الجنوبية) فإن الكثير من الدول النامية لا يـمـلـك حـتـى هـذه القدرة على تفكيك وإعادة تركيب مثل هذه الـسـلـع كـمـا أن تـجـربة اليابان لم تكن تقليداً أعمى بل جاءت جزءاً من مشروع حضاري متكامل لنهضة اليابان.

2- الاستثمارات الأجنبية المباشرة في الدول النامية:

تتخذ الدول المتقدمة هذا الأسلوب في كثير من المشروعات التي تتم في البلدان النامية، لكن لا بد من ممارسة دور كبير من الحيطة من جانب الطرفين ، المصدر والمستهلك، لجعل هذه الوسيلة مجدية بما يعود بالفائدة على الطرفين. وعندما تقوم الشركة (من الدول المتقدمة) بـاسـتـثـمـاراتها المباشرة في الدول النامية دون مشاركة من أي طرف محلي، فإنها تجلب مـعـهـا (عـدتـهـا) الـكـامـلـة لإقامة مشاريعها يعها بما في ذلك الحزمة التكنولوجية (Technological package) الـتـي تـحـتـاج إلـيـهـا وتشمل دراسة الجدوى الفنية والاقتصادية للمشروع والقيام بالأعمال الهندسية والـتـصـامـيـم وإحضار الخبراء والفنيين والإداريين والمعدات والآلات والإشراف على إنجاز المشروع وعلى مباشرته في الإنتاج والتسويق. وسلكت بعض الدول النفطية طريق الدخول في المشاركة مع الشركات التي تقوم بالمشاريع ، ويمكن أن يكون الطرف المحلي هو حكومة الدولة النامية نفسها أو إحدى مؤسساتها أو أحد أصحاب رؤوس الأموال. وأصبحت الدولة النفطية تلح على امتلاك أكثر

من 50% من أسهم المشروع المشترك أملاً في الحصول على أكبر قدر من التأثير في سياسة الشركة مقابل تقديم الخدمات الأساسية (الغاز - الكهرباء - الهاتف) ويأخذ الطرف الأجنبي على عاتقه المسائل المرتبطة بإقامة المشروع وتشغيله وصيانته وإدارته وتسويق منتجاته(5).

3- الشركات المتعددة الجنسيات :

إن معظم الاستثمارات في الدول النامية يتم عن طريق الشركات المتعددة الجنسيات (Multinational Corporation) وهي من أهم قنوات نقل التكنولوجيا إلى البلدان النامية، لكنها تعتبر أكبر محتكر للتكنولوجيا على المستوى الدولي من خلال مختلف القنوات المتاحة لها (مثل الاستيراد ، الاستثمارات والخدمات الاستشارية ، العلاقات التجارية) والتي سنأتي عليها. إن تاريخ هذه الشركات قديم فمثلاً عرفت الشركة البريطانية للهند الشرقية عام 1600م ، وكان سوق هذه الشركات بلدانها الأصلية أولاً ثم اتخذت طابع العالمية ليبرز هذا الاسم (متعدد الجنسيات) للاستثمار خارج موطنها. ففي عام 1937م مثلاً كانت 187 شركة أمريكية قد نجحت في إقامة 715 فرعاً صناعياً خارج أمريكا ، 330 في أوروبا ، 169 في كندا ، 114 في أمريكا اللاتينية والباقي موزع على دول العالم وأصبحت أرباح تلك الشركات في الفترة الأخيرة خيالية فمثلاً بلغت مبيعات شركة - اكسون الأمريكية للنفط - أكثر من 103 مليار دولار في عام 1980م وربح قدره 6.5 مليار دولار. وبلغت مبيعات 35 شركة أمريكية في عام 1980م حوالي 732.6 مليار دولار وربح صافي قدره 40 مليار دولار(6).

إن احتكار هذه الشركات للتكنولوجيا أدى إلى قلق الدول النامية كما أسلفنا حيث أن هدف هذه الشركات الربح فقط. إن إنتاج هذه الشركات يزيد بمعدل ضعف معدل نمو الاقتصاد الداخلي لكل من روسيا وأمريكا ومن المتوقع أن يكون لنحو 400 إلى 500 شركة من هذه الشركات (جنرال موتورز ، شل ، آي بي أم IBM ، فيليبس.. الخ) قبل نهاية القرن الحالي ملكية مالا يقل عن ثلثي مجموع الأصول الثابتة في العالم بأسره وأن تقوم بإنتاج أكثر من نصف الإنتاج العالمي.

إن تعريف هذه الشركات مختلف فيه فمن قائل بأنها تلك التي ينتمي فيها مالكو الشركة الأم إلى جنسيات مختلفة ، وآخرون يرون أن الجنسيات تعني أعضاء مجلس الإدارة للشركة الأم ومديري الشركة الأساسيين. وبالإجمال هي شركة كبيرة الحجم يصل نشاطها وفروعها الانتاجية إلى عدة دول. ومن الملاحظ بروز شركات أصحابها من مواطني الدول النامية وهذه أنواع منها من استفاد مؤسسوها من طفرة مالية في ذلك البلد وجمعوا ثروات شخصية بشتى الطرق وهذه فقط تملك رأس مال كبير. ومنها تلك الشركات الحكومية مثل ما فعلت شركت النفط الوطنية الكويتية بشرائها شركة »**سنتافي**«

العالمية مع أن الإدارة من مواطني الدولة الأم للشركة. ومنها من يكون أصحابها مواطنين من الدول النامية استفادوا من مزايا وطنية في بعض القطاعات مثل شركة البناء الكورية.(7)
إن من عيوب وأضرار نقل التكنولوجيا عن طريق هذه القناة أنها تعمق علاقة التبعية والضمنية في العالم بعيداً عن تحقيق تكامل دولي حيث تعيد جزءاً كبيراً من أرباحها إلى الدولة الأم (عادة دولة متقدمة). كما أنها تصدر تكنولوجيا مكلفة رأس المال غير مراعية لظروف البلد التي يعاني أهلها من البطالة حيث أن أهداف هذه الشركات الربح السريع والضخم.
كما أن من عيوبها أنها تطوع الأذواق والمعطيات المحلية للدولة النامية بدلاً من أن تتكيف معها وذلك بالحملات والإعلانات الضخمة الأمر الذي يخلق ميلاً هائلاً عند هذه الشعوب للاستهلاك بينما قدرتها الإنتاجية متواضعة. كما أنها تساهم في هجرة العقول بإغرائهم بالمال ونمط الحياة الراقي في بلد الشركة الأم ولا تنسَ كذلك أثر هذه الشركات على البلد النامي من حيث إغراقه في ديون وخفض عملته المحلية فمثلاً سحبت هذه الشركات عام 1974م أكثر من 16 مليار دولار من الأرباح من الدول النامية في حين أنها لم تستقدم من الخارج أكثر من 7 مليار دولار. وتسيطر هذه الشركات على 80% من عمليات النقل في العالم حالياً.
4- قد يأخذ نقل التكنولوجيا شكل الدخول في عقود ورخص وبراءات اختراع وعلامات تجارية بين شركة محلية في دولة نامية وبين شركة (في الغالب) متعددة الجنسيات (غير قادرة أو راغبة بالقيام باستثمارات مباشرة في دولة نامية ما لأسباب معينة). هنا تسمح الثانية للأولى باستغلال الرخص أو البراءة أو العلامة التجارية حسب شروط وقيود يتفق عليها مسبقاً (مثلاً: حرمان الشركة المحلية من التصدير والاكتفاء بالسوق المحلية ، أو منعها من الجمع بين علامات تجارية لشركات منافسة... الخ).
إن العلامات التجارية وبراءات الاختراع تمثل معاً حقوق ملكية صناعية غير ملموسة وكلاهما يمنحان الشركة التي تملكهما درجة من الاحتكار.

الهوامش:

1- العرب أمام تحديات التكنولوجيا. د. أكرم.
2- مجلة المنهل ، صفر- محرم 1403 هـ ص 47
3- العالم إلى أين د. ب عزّى 1983 م
4- المجلة العربية للإدارة - المجلد 11 العدد 4 ص 23 1987 م.
5- العرب أمام تحديات التكنولوجيا د.أكرم ص 82
6- العرب أمام تحديات التكنولوجيا د. أكرم ص 100
7- نفس المرجع.

علماء معاصرون

الشيخ أحمد محمد شاكر

حكمت الحريري

هو الأستاذ العلامة المحدث أبو الأشبال الشيخ أحمد بن محمد شاكر بن أحمد ابن عبد القادر. ولد -رحمه الله- بعد فجر يوم الجمعة في التاسع والعشرين من شهر جمادي الأخرة سنة 1309هـ الموافق 1892م بمنزل والده بالقاهرة، ثم ارتحل مع والده إلى السودان حيث كان قد عُينَ قاضياً فيها.

درس الشيخ أحمد شاكر في السودان بكلية »غوردن« ثم بعد رجوعه إلى مصر درس بالإسكندرية ، ثم التحق بالأزهر الذي صار والده وكيلاً لمشيخته سنة 1328هـ .

وانتقال الشيخ إلى الأزهر كان بداية عهد جديد من حياته ، فقد استطاع أن يتصل بكثير من العلماء وطلبة العلم الموجودين في القاهرة ثم بدأ ينتقل في مكتبات القاهرة ويستفيد من العلماء ويكثر من المطالعة وقد حاز على الشهادة العالمية من الأزهر سنة 1917م وعمل في التدريس لمدة أربعة أشهر فقط ، ثم عمل في سلك القضاء حتى أحيل على التقاعد سنة 1951م.

ولم ينقطع خلال فترة اشتغاله بالقضاء عن المطالعة والتصنيف، بل إنه أثرى المكتبة الإسلامية بأبحاثه القيمة وتحقيقه لأمهات الكتب المفيدة.

وكانت وفاته في السادس والعشرين من شهر ذي القعدة سنة 1377هـ الموافق 1958م.

أشهر شيوخه :

تربى الشيخ أحمد شاكر في بيئة علمية ، فوالده كان وكيلاً للأزهر ، وجده لأمه العالم الجليل هارون عبد الرزاق ؛ بالإضافة إلى وجود الأزهر الذي كان يستقطب كبار العلماء من شتى بلدان العالم الإسلامي مما أتاح للشيخ فرصة أن ينهل من معين العلم والعلماء.

ومن أشهر العلماء الذين استفاد منهم :

1- والده العلامة محمد شاكر ، وكان أعظم الناس أثراً في حياته.

2- الشيخ عبد السلام الفقي ، وقد تعلم منه كتب الأدب واللغة والشعر.

3- الشيخ محمود أبو دقيقة ، وتعلم منه الفقه وأصوله بالإضافة إلى أنه تعلم منه الفروسية ، والرماية ، والسباحة.

4- علامة الشام الشيخ جمال الدين القاسمي.

5- علامة المغرب ومحدثها الشيخ عبد الله بن إدريس السنوسي ، وقد أجازه برواية صحيح البخاري وبقية الكتب الستة.

6- الشيخ طاهر الجزائري من كبار علماء الشام.
7- العلامة محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار ، وغيرهم من جهابذة العلم.

جهوده في خدمة السنة :

أهم المصنفات التي حققها وعلق عليها:
1- تحقيق كتاب الرسالة للإمام الشافـعـي تحقـيـقـاً علمـياً نافعاً ينم عن غزارة علمه وسعة اطلاعه ، وهو أول كتاب عرف به الشيخ أحمد.
2- تحقيق (الجامع) للترمذي عن عدة نسخ ، وصل فيه إلى نهاية الجزء الثالث.
3- تحقيق وشرح مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وقد شرع بخدمة هذا الكتاب من 1911م حتى بدأ بطباعته سنة 1946م ، فهرس أحاديثه حسب الـمـوضوعـات ، وخرجها وشرح مفرداته وعلق عليه تعليقات هامة ومفيدة ، ولكنه لم ينته من تخريج كامل أحاديث المسند بل وصـل إلى ثلـث الكتاب تقريباً ، وعدد الأحاديث التي حققها [8099] وقـدم للـكـتـاب بنقل كتابين جعـلـهـمـا كالـمقدمة بالنسبة للمسند هما: »خصائص المسند« للحافظ أبي موسى المديني »والمصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد« لابن الجزري.
4- تحقـيـق مختصر سنن أبي داود للحـافـظ الـمـنـذري ، ومـعـه مـعـالم السنن للخطابي، وتهذيب ابن قـيِّـم الجوزية ، بالاشتراك مع الشيخ محمد حامد الفقي ، وطبع الكتاب في ثمانية مجلدات.
5- تحقيق صحيح ابن حبان : حقق الجزء الأول منه فقط.
6- شرح ألفية السيوطي في علم الحديث ، وطبع الكتاب في مجلدين.
7- الباعث الحثيث شرح »اختصار علوم الحديث« للحافظ ابن كثير.
8- تحقيق كتاب »الإحكام في أصول الأحكام« لابن حزم.
9- عـمـدة التفـسـيـر عـن الـحـافـظ ابـن كثير اختصره وحذف منه الأسانيد، والـروايـات الإسرائيلية والأحاديث الضعيفة ، وتفاصـيـل الـمـسائل الكلامية ، وهو أفضل المختصرات التي طبعت لتفسير ابن كثير.
10- تخريج أحاديث من تفسير الطبري : شارك أخـاه محـمـود شاكر في تخريج أحاديث بعض الأجزاء من هذا التفسير وعلق على بعض الأحاديث إلى الجزء الثالث عشر.
11- تحقيق كتاب »لباب الآداب« للأمير أسامة بن منقذ المتوفى سنة 584هـ .
12- تحقـيـق كـتاب شرح العقيدة الطحاوية. هذا بالإضافة إلى كتب أخرى قيمة في الأدب واللغة ، وبحوث مـفـيـدة في الفـقـه والقضايا الاجتماعية والسياسية كتبها في مجلة »الهدي النبوي« حينما كان رئيس تحرير لها، وقـد جمـعـت بـعـض هذه المقالات ونشرت في كتاب بعنوان »كلمة الحق«.

جهوده في المجال السياسي والاجتماعي :

عاش الشيخ أحمد شاكر في فترة امتازت بكثرة الأحداث وتواليها ، والدول الإسلامية تئن تحت نير الاستعمار الإنكليزي والفرنسي ، وخور المسلمين وعجز معظم العلماء عن القيام بواجبهم ، بل كانوا يشعرون بالانهزامية والصغار أمام هجمات الصليبيين وتلامذتهم من المستشرقين الفكرية وطعنهم في هذا الدين ، والتركيز على مصر المركز العلمي للعالم الإسلامي ، واليهود يخططون لاحتلال فلسطين ، وأحكام الشريعة الإسلامية أقصيت عن حياة الناس ، بفعل الفساد والتخطيط الصليبي الماكر ضد هذه الأمة، حتى صار التدين والتمسك بدين الإسلام ، وصمة عار وتخلفاً ورجعية. وأمام هذه الموجات المتلاطمة والعواصف الجارفة التي تهب بالفساد وقمع الصالحين من العباد ، ونصبوا لذلك رايات في كل هضبة وواد.
فلا يقوى على الصمود والمواجهة إلا العظماء من الرجال ، وما دام أنه كما يقال : لكل زمان دولة ورجال ، فقد هيأ الله سبحانه وتعالى الشيخ ليذود عن حياض هذه الأمة ويدافع عن شرفها وعزتها التي لا تكون أبداً إلا بتمسكها بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، فانبرى الشيخ للتصدي لكل الأفكار الهدامة متمسكاً بكتاب الله ملتزماً بعقيدة السلف ، يقارع الأعداء وتلامذة الغرب من المستشرقين دون أن تلين له قناة أو تخور له عزيمة ، مع قلة من أمثاله من الرجال.
وصار يدبج ببراعه مقالات نفيسة وتعليقات مفيدة على بعض ما حققه من الكتب ، ومن ذلك تعليقاته على تفسير ابن جرير الطبري ، وعمدة التفسير مفصلاً القول عن آيات الحاكمية وتكفير من لا يحكم بشريعة الله ، وتعليقاته لا تزال مصدراً هاماً لمن جاء بعده من العلماء المجاهدين الذين فتح الله بصيرتهم ولا أريد للقارئ لمقالتي هذه أن يعيش في جو التصور النظري ، بل أنصح والدين النصيحة بالاطلاع على كتاب »كلمة الحق« فليس من سمع كمن رأى وعندها يتعرف القارئ على مدى مقدرة الشيخ على البيان وفصاحته، ودفاعه عن هذا الدين الحنيف ، وتصديه للمبتدعين ، والخرافيين وللمستشرقين وغيرهم.
وأريد أن أخص بالذكر من بين المقالات الهامة للشيخ ثلاثة مقالات هي : »أيتها الأمم المستعبدة« ، »بيان إلى الأمة المصرية خاصة وإلى الأمم العربية والإسلامية عامة« ، والثالثة »تحية المؤتمر العربي في قضية فلسطين«.
ستلاحظ من خلالها مواقفه الحازمة وبغضه لأعداء الله، وتحريض الأمة على جهاد المستعمر الذي نهب خيرات البلاد ونشر في الأمة الفساد.

منهجه في تصحيح الأسانيد:

غلب على الشيخ في مجال البحث العلمي الاهتمام بتخريج الأحاديث ودراسة أسانيدها خاصة في تخريجه لأحاديث المسند.

وعند تتبع الأسانيد التي حكم عليها بالصحة ، يلاحظ أن أهم القواعد التي يسير عليها في تصحيح إسناد حديث ما هي كالآتي :
1- إذا ذكــر البخاري الراوي في »تاريخه الكبير« وسكت عنه ، ولم يذكره في الضعفاء فإن الشيخ يعتبر سكوته توثيقاً للراوي.
2- إذا ذكـر ابن أبي حاتـم الــراوي فـي »الجرح والتعديل« وسكت عنه أيضا ، فإن الشيخ يعتبر سكوته عن الراوي توثيقاً له.
3-كان يعتمد على توثيق ابن حبان فالرواة الذين ذكرهم ابن حبان في كتاب »الثقات« ثقات عند الشيخ أحمد شاكر.
4- توثيقه لـ (عبد الله بن لهيعة) بإطلاق.
5- توثيقه للمجهول من التابعين قياساً لحالهم على حال الصحابة.

ومما أخذ على الشيخ أمور:

الأولى: معظم الكتب الهامة التي قام بتحقيقها أو شرحها لم يكد يتممها وكأنه كان يشتغل بأكثر من كتاب في وقت واحد ، فالترمـذي والـمـسـند وصحيح ابن حبان وتفسير ابن كثير وتفسير الطبري ، وغيرها ، لم تكتمل ، ولو أكملها لكانت الفائدة أوسع وأكثر ، فلا تكاد تجد من يسد هذا الفراغ الذي تركه الشيخ ، فمنهجه وأسلوبه يختلف عمن جاء من بعده.
الثانية: في نقد منهجه في تصحيح الأسانيد بناء على أهم القواعد المذكورة آنفاً. فالبخاري في »التاريخ الكبير« وكذا ابن أبي حاتم في »الجرح والتـعـديـل« لا يعـتـبـر سكوتهما عن الراوي تعديلاً له ، فقد يذكر البخاري في كتابه راوياً ضعيفاً ويسكت عنه ، وقد يسكت عن بعض الرواة المجـهـولـيـن ، ويـسـكت أحياناً عن بعض الرواة الذين لم يعرفهم ولم يـفـرق بـيـن أسمائهم. وأما ابن أبي حاتم فقد يسكت عن الرواة الذين لم يتمكن من معرفة أحوالهم فقد قال في مقدمة كتاب الجرح والتعديل :
»على أنا قد ذكرنا أسامي كثيرة مهملة من الجرح والتعديل ، كتبناها ليشتمل الكتاب على كل من روي عنه العلم وجاء وجــود الجرح والتعديل فيهم فنحن ملحقوها بهم من بعد إن شاء الله تعالى«.
أما اعتماده على توثيق ابن حبان ، فابن حبان كان متساهلاً في التوثيق فما كل من ذكرهم في »كتاب الثقات« بثقات.
وقد تكلم عن تساهل ابن حبان في الـتـوثـيـق العلامة عبد الرحمن المعلمي اليماني في كتاب »التنكيل« وكذا الشيخ ناصر الألباني في مواضع من السلسلة الضعيفة. فكان مما قاله الألباني : »إن ابن حبان متساهل في التوثيق ، فإنه كثيراً ما يوثق المجهولين حتى الذين يصرح هو بنفسه أنه لا يدري من هو ولا من أبوه«.

وتساهله نابع من اصطلاحه في تعريف العدل ، فـالعدل عنده من لم يعرف منه الجرح إذ الجرح ضد التعديل ، فمن لم يعلم بجرح فـهـو عدل إذا لم يبين ضده إذ لم يكلف الناس معرفة ما غاب عنهم(1).

وأما توثيقه لعبد الله بن لهيعة بإطلاق فهو موضع انتقاد أيضاً.

إذ أن عبد الله بن لهيعة ضعفه أكثر العلماء الذين يعتد بقولهم كابن معين ، والنسائي وابن المديني ، والجوزجاني ، وابن حبان ، والذهبي، وابن خزيمة ، لأنه اختلط في آخر عمره بعد احتراق كتبه وأما من روى عنه قبل الاختلاط فروايته صحيحة، والذين رووا عنه قبل أن يختلط وقبل احتراق كتبه هم العبادلة. »عبد الله ابن المبارك، وعبد الله بن وهب، وعبد الله بن المقرئ« وفي غير رواية هؤلاء عنه فهو ضعيف.

وأما توثيقه للمجهولين من التابعين فليس بصحيح، وإنما فعل ذلك قياساً لحال هؤلاء على حال الصحابة ، والفرق واضح ، فالصحابة مشهود بعدالتهم وثقتهم وقد رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وليس حال التابعين كذلك ، قال الحافظ ابن حجر: »ثم إن من بعد الصحابة تلقوا ذلك منهم وبذلوا أنفسهم في حفظه وتبليغه، وكذلك من بعدهم إلا أنه دخل فيمن بعد الصحابة في كل عصر قوم ممن ليست لهم أهلية ذلك وتبليغه،فأخطأوا فيما تحملوا ونقلوا، ومـنـهـم مـن تـعـمـد ذلك فدخلت الآفة فيه من هذا الوجه، فأقام الله طائفة كثيرة من هذه الأمة للذب عن سـنـة نـبـيـه -صـلـى الله عليه وسلم- فـتـكـلـمـوا فـي الـرواة عـلـى قصد النصيحة«(2).

لكن الشيخ أحمد شاكر إذا مر بتابعي وكان مجهولاً ، فكثيراً ما يكرر العبارة الآتية : »وهو تابعي ، فأمره على الستر والعدل حتى يتبين فيه جرح«.

الهوامش :

1- مقدمة كتاب الثقات.

2- لسان الميزان : 1/3

شعر

دمعة حزن في مقلة عروس

عبد الرحمن صالح العشماوي

تروح بــنا مصــائـبُنا وتغــــدو فما يُرعى لنا في الناس عَهْدُ
ونحبو في طريق الـعلم حَنــْـواً وعَالمُنَا عـــلى قدمـــيه يعدو
ويخطب »باقلٌ« في كل نــــــادٍفيا »سحبانُ« قولُك لا يُعـــــَدُّ
ويحرق ثوبه عمرو بن هنـــــدٍ ولو علمتْ لما احتضنتــه هندُ
ولو أبصرت يا كعب »سعـــــاداً« لما ناديتها وكـفـتـك »دَعـــْدُ«
ويا »حسّانُ« بعدك ألف صـــوتٍ من الشعراء ، بالنعرات تشدو

كأنّا قد نسينا ألف عامٍ ونصفَ الألف،وانتفضتْ »مَعَدُّ«
وهبّتْ ريح »ذبيان« و »عبسٍ« فثار لها غطارفةٌ وأُسْدُ
كأنَّ عقولنا ممّا اعتراها مساحاتٌ من الصحراء جُرْدُ
تقول الحربُ:ها أنذا بسيفي أمدُّ يدي فقوموا واستعدّوا
وبعض رجال قومي في يديهمْ حبالٌ لا تُلَفُّ ولا تُشَدُّ
وأنذرت الخطوب،فليت تشعري متى يلوي ذراعَ الغيِّ رُشْدُ
غضبتُ لأمتي ممّن يغنّي لها وفؤاده دَنَسٌ وحِقْدُ
يبادلها حديث الحبَّ جهراً وفي أعماقه خصمٌ ألَدُّ
سلوني عن دكاترةٍ كبارٍ لهم في فكرنا أخْذٌ وردُّ
تُعيرهمُ الصَّحافةُ مقلتيها فهم في عُرفها الركنُ الأشدُّ
لهم عَبْرَ الإذاعةِ ألفُ صوتٍ وفي التِّلفاز أذرعةٌ تُمَدُّ
دكاترةٌ لهم فكرٌ غريبٌ وأحلامٌ عراضٌ لا تُحَدُّ
على وطنيَّةِ التفكير قاموا وتحت غطائها قبضوا ومدُّوا
وباسم ثقافة العصر استباحوا حمى الفكر الأصيل وعنه نَدُّوا
أقول لهم : ثقافتكم هباءٌ وليس لغيمكم برقٌ ورَعْدُ
أقول لهم : كتابُ اللهِ فيكم إلى يَنبوعه الصَّافي المَرَدُّ
تعبتم في ملاحقة الدّعاوى وجرحُ فؤادِ أمتكم يجِدُّ
لنا وطنيَّةٌ ليست نَشازاً فما تجفو الكتابَ ولا تَنِدُّ
لنا البيت الحرام ، لنا حِراءٌ نعم ، ولنا تهامتُنا ونَجدُ
لنا أرض الجزيرة قام فيها من الإسلام دون البَغي سَدُّ
لنا الأقصى، لنا شام ومصرٌ لنا يَمَنٌ وبغدادٌ وسِنْدُ
لنا في المغرب العربي أهلٌ وأحبابٌ ، وفي كابولَ جُنْدُ
لنا الإسلام يجمع شمل قومي وإنْ ورمتْ أنوف من استبدُّوا
ولا وطنية لدعاة فكرٍ دخيلٍ ، من سوانا يُسْتَمَدُّ
إذا صارتْ روابطُنا تُراباً عليه حبال أمتنا تُشَدُّ
فلا تعجبْ إذا اضطربتْ خطانا وساومنا على الأمجادِ وَغْدُ
ولا تعجبْ إذا صارت رُؤانا تَغيم ، وقصر فرحتنا يُهدُّ
ألا يا سائلي عما أعاني معاناتي لها في القلب حَشْدُ
تعالَ لكي ترى غاراتِ قومي على قومي وتبصرَ ما أعدُّوا
ولا تسألْ ، فليس لنا جوابٌ وليس لأمتي في الأمر قَصْدُ
مضى زمن عليها وهي تحبو ولم يُقدحْ لها في المجد زَنْدُ
عروس لا تُزَفُّ إلى عريسٍ وليس لجيدها القمريِّ عِقْدُ
ولا مُنحتْ أساورَ من نضارٍ ولم يُغْرسْ لها في الدرب وَرْدُ
عروسٌ جُلِّلتْ بثياب حزنٍ وطاف بها على الشَّارين عَبْدُ
مراكبُها تُسيِّر في بحارٍ ولا هدفٌ على الشطآن يبدو

نقول لأجــلها حقــاً، ولـكـن يواجهُنا مــن الأحــبــاب صَــــدُّ
نُقَابَلُ بالتجاهــل والتغاضـي ويـنـسـى القـــوم أنَّ الأمــرَ جدُّ
إذا لم يحكم الإسـلامُ قــومي فـمـهْـدُك أيُّهـــا الـمــولودُ لحْدُ

تربية

الشعور الديني عند المراهق

عثمان جمعة ضميرية

إن مرحلة المراهقة من أخطر المراحل التي تـواجــه كـل مـن يقــوم بالتربية ، وذلك لأنها مرحلة انتقال جسمي وعقلي وانفعالي واجتماعي ، بين مرحلتين مـتمـيـزتـين هما : مرحلة الطفـولـة الـوادعــة ، الساذجة الهادئة ، ومرحلة الشباب التي تُسْلم المراهق إلـى الـرشـد والنضوج والتكامل والـرجـولـة الكاملة. وهي مرحلة طبيعية في النمو ، يمر بها المراهق كما يمر بغيرها من مراحل العمر المختلفة ، لا يتعرض لأزمة من أزمات النمو ، مادام هذا النمو يجري في مجراه الطبيعي ، فـهـي لـيست - بحد ذاتها - أزمة ، وإنما هي مرحلة انتقال وتغيير كلي شامل ، وإن حصلت الأزمــة فـإنـها إنما تنشأ بسبب عوامل مؤثرة غيرها، أو بسبب معالجة مشكلات المراهق .

والـمـراهـقـة هي : الفـتـرة من بلوغ الحلم إلى سن الرشد(1) والمراهق هو الغلام الذي قارب الحلم .

ولن نعنى فـي هـذا الـمـقـال بـدراسة التغيرات النفسية والعقلية والجسمية التي تطرأ على المراهق ، وإنما نُلْمَعْ إلى الـشـعـور الـديـني عـنـد الـمراهق وتطوره لبيان اتجاهات المراهقين الدينية والأخلاقية.

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان على فطرة التوحـيـد والإيـمـان ، وقد أخذ العهد على بي آدم مذ كانوا ذرية في ظهور آبائهم وأشهدهم على أنـفـسـهـم : ((ألَـسْـتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا)) [الأعراف:172].

وفي الحديث القدسي »..إني خلقت عبادي حنفاء كلَّهم وإنهم أتتهم الشياطـيـن فـاجتـالتهم عن دينهم«.

فـالإنـسـان مـؤمن بفطرته ، يتجه إلى الله عز وجل وحده بالعبادة والخضوع ، ولكن هــذه الفطرة قد يغشاها ما يغشاها ، أو قد تنحرف وتمرض ، بتأثير بعض العوامل كالوالدين أو البيئة الكافر أهلها ، ففي الصحيحين عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : »ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يُهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تُحسُّـون فـيـهـا مـن جدعاء؟« ثم يقول أبو هريرة -رضي الله عنه- : واقرؤوا إن شئتم ((فِطْرَتَ اللهِ الَتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ)).

وإذا كان الطفل منذ نعومة أظفاره يدرك عدداً من المعاني الدينية بتأثير هذه الفطرة التي أودعه الله إياها ، فإن هذا الإدراك هو شعور غير محدد ، فهو يبدي عدداً من الانفعالات ويطرح جملة من الأسئلة عن الله خالق الكون ، خالق الشمس والقمر.. منزل المطر من السماء ، عن الرعد والبرق ، وعن الجنة والنار.. فإن المعاني الدينية تتضح أكثر عند المراهق، بسبب نضجه العقلي. الذي وصل إليه ، فلا تكاد مرحلة المراهقة تبلغ أوجها حوالي السادسة عشرة تقريباً حتى تكون مستويات المراهق الإدراكية قد تفتحت وتسامت ، وذكاؤه قد بلغ أوجه، كما تتحدد في هذه المرحلة اهتمامات المراهق، ويتحرر من الشطحات والخيال ويميل إلى القراءة والاطلاع ، ويصبح قادراً على التجريد وإدراك المعنويات ، وتجاربه في البيت والمدرسة والمجتمع قد تنوعت.

كل تلك العوامل العقلية والاجتماعية ، إضافة إلى النضج الجنسي ، تتضافر في إيجاد وعي ديني عند المراهق ، يختلف عن الاهتمام الديني عند الأطفال. فعندئذ يبدأ بتكوين فكرة عن الحياة والمصير والغاية ، ويفكر في الخالق سبحانه وفي صفاته ، وهذا يكوِّن لديه يقظة دينية تثير نشاطاً عملياً ، كالعبادة التي تترجم عن إيمانه ، وكالجهاد في سبيل الله، وتحمل المطالب والمسؤوليات تجاه دينه ، والاستهانة بالعقبات التي تقف أمامه.

والمراهق -كغيره- يجد في الدين أملاً مشرقاً بعد يأس مظلم ، ويجد فيه أمناً من خوف ، وفكراً يسدّ فراغه النفسي وقلقه الانفعالي. وهذا كله يدفع بالمراهق إلى المبالغة في العبادة والتعمق فيها أحياناً.

وهذا الوعي الديني عند المراهق ، يجب توجيهه وجهة سليمة صحيحة ، تتفق ومقدرته العقلية وتكوينه النفسي والانفعالي ، ليكون فهمه للدين - منذ البداية - فهماً صحيحاً ، بعيداً عن الأوهام والخرافات والتعصب. فلا يجوز أن يفهم بعض آيات الكتاب الكريم على نحو غير صحيح استناداً إلى أنه لا يستطيع الآن أن يدرك معانيها الحقيقية كما ندركها نحن مثلاً ، أو بحجة استغلال عاطفته الدينية خوفاً من موجات الشك والإلحاد، أو انتصاراً للدين على العلم -كما يفعله بعضهم -أو بأي حجة أخرى.

فإن تلقين المعاني والأفكار الدينية للمراهق بشكل منحرف أو خرافي يؤدي إلى ناحية سلبية ، فينكر الدين إلحاداً وازدراءً ، أو ينكر العلم جهلاً وتعصباً!

ومن هنا ، كان من الواجب توجيه المراهق توجيهاً سليماً واضحاً ، ووجب الابتعاد عن السطحية والضحالة في تقديم الأفكار الدينية له وتعليمه إياها ؛ إذ يجب في هذه المرحلة أن نوسِّع ثقافته - وهو في دراسته في هذه المرحلة في مستوى الدراسة المتوسطة والثانوية - من الناحية الدينية حتى ننهض بمستواه الروحي ، ونرى أثر هذه الثقافة في أخلاقه وسلوكه.

كما يجب على كل من يُعنى بتربية المراهــق أن يفتح له قلبه بفتح باب المناقشة الهادئة الواعية الدقيقة ، وأن يعوِّده على ذلك ، وأن لا يضيق أو يتبرم بمناقشته وأسئلته ، لأنه يميل في هذه المرحلة إلى مناقشة كل فكرة تُعـــــرض عليه فهو لم يعد طفلاً يأخذ كل شيء بالتسليم المطلق ، وإن كان هذا لا ينفي أن نزرع فـي نـفـسـه أيضاً التسليم المطلق لله تعالى والانقياد لأوامره وأحكامه ، وأنه سبحانه وتعالى إنما شرع شـــرعـتـــه لمصلحة لنا ، قد يدركها العقل ، وقد يعجز عن دركها ومعرفتها أحياناً ولكنه - بكل تأكيد - ما من حكم شرعي إلا وهو ينطوي على مصلحة للبشر. وهذا ما أشار إليه وفصَّله الإمـــــام المحـقـق الشاطبي في كتابه العظيم »الموافقات« والعز بن عبد السلام في »قواعد الأحكام«.

وهذا هو الطريق السوي السليم - فيما أحسب - في توجيه المراهق دينياً ، بحيث نبعث في نفـســه السكينة والاطمئنان ، والثقة بالنفس ، مع القناعة العقلية والوجدانية ، والمباعدة بينه وبين الغرور ، وبهذا نحفظه من رياح الإلحاد والاستهتار والانحلال.

وفي دراسة إحصائية لخبرات المراهقين، أجراها الدكتور عبد المنعم المليجي في مصر،اقترح تصنيفاً للمراهقين حسب الاتجاه الديني الذي يغلب عليهم ، إلى فئات أربع:

1- فئة يلتزمون قواعد الدين حرفياً دون مناقشة ، وهذه فئة المؤمنين إيماناً تقليدياً - حسب تعبيره -.

2- فئة تأخذ الدين بجدية أكثر ، فتندفع إلى تبرير الدين والتحمس له. وهذه فئة المتحمسين للدين.

3- فئة تأخذ الدين جدياً ، لكن تميل إلى اتجاه نقدي أكثر وهي فئة المتشككين .

4- فئة تنكر الدين إنكاراً صريحاً.

وفيما يلي جدول يلخص توزيع الاتجاهات الدينية ، مستخلصاً من أجوبة المراهقين على الاستفتاء الذي صممه الدكتور المليجي وأجراه في مصر ، ونظرة سريعة إلى هذا الجدول تبين لنا تناقص عدد الأفراد كلما بعدت فئاتهم عن الاتجاه التقليدي في التدين -كما أسماه - ويتبين من النسب المئوية وجود ارتباط موجب بين اتجاه البنين واتجاه البنات الدينية:

الاتجاهات الدينية*	**بنين**		**بنات**	
	عدد	النسبة المئوية	عدد	النسبة المئوية
إيمان تقليدي	50	50%	42	61.5%
حماس	25	25%	18	25.8%
شك	24	24%	9	12.8%

إلحاد	1	1%	-	-
المجموع	**100**	**100**	**70**	**100**

ويتبين من الجدول أن الـمـــراهقات أقلُّ من البنين نزوعاً إلى التحرر من الدين وأكثر منهم سلبية ، ولا نجد بين البـنــات إلحاداً قط ، في حين نجد نسبة ضئيلة لدى البنين ، كما نجد أن نسبة الإيمان التقليدي بين البنات تفوقها لدى البنين بمقدار 10.5% (المليجي ص 214).

وحـبـذا لـــو أجـريـت استفتاءات أخرى في بعض البلدان الإسلامية ، لمعرفة مدى الرصيد الإيماني لشبابنا المراهـقـيــن الذين تحاصرهم كثير من التغيرات ، وتغزوهم وسائل الإعلام التي يزيد الهدم فيها ويفـوق البناء ، وبذلك نرصد اهتمامات شبابنا وتوجهاتهم ، ويمكن معالجة ما قد يقع من انحراف ، وتصويب ما يمكن تصويبه من أخطاء.

وكذلك يقف المراهق - والمراهقة أيضاً - موقفاً إيجابياً من الأخلاق ، بعكس ما كان عليه عندما كان طفلاً ، فهو لا يتقبل أي موقف أخلاقي دون مناقشة أو تقليب النظر.

إن المراهق والمراهقة يناقشان في صراحة - أحياناً - كل ما يصدر عن الوالدين من أعمال ويحاولان أن يُصدرا أحكاماً على هذه الأعمال ، فكل منهما يقبل عندئذ ما يروقه وما يتمشى مع منطقه ، ويرفض ما يتعارض مع مُثُلِه العليا ، ويجادل والديه في هذا كله.

وهناك ظاهرة أخرى في سلوك المراهق الخلُقي ج إذ باستطاعته ، الآن التفكير في صيغ عامة ، وأن يكوِّن لنفسه »مُثُلاً عليا« هي تجمع لخبراته السابقة في الطفولة.

ومن الأمثلة القريبة على هذه المثل العليا والأخلاق السامية عند المراهق : أولئك الفتيان الذين ينشطون دائماً في جمع التبرعات للمنكوبين أو المشرّدين ، دون أن ينتظروا من وراء ذلك كسباً مادياً أو نفعاً دنيوياً عاجلاً.

مثال آخر يدل على شهامة المراهقين ومثاليتهم العالية : أولئك الطلاب الذين اشتركوا في حرب فلسطين عام 1948م أو في معركة القـنال بمصر بعد إلغاء المعاهدة المصرية الإنكليزية عام 1926م، وكان الكثير من هؤلاء في سن المراهقة، ذهبوا وضحَّوا بأنفسهم في سبيل مبدأ جليل دون رهبة أو وجل ، يدفعهم إلى ذلك إيمان بالله قويٌّ ، وأخلاق عالية سامية.

وإذا ارتـقـيـنا في تاريـخـنا الإسلامي إلى عهد الصحابة -رضوان الله عليهم- وجدنا أمثلة كثيرة تعزُّ على الحصر، تؤكد ذلك، فأولئك الشباب من الشهداء في عهد النبوة ، وأولئك الذين جاهدوا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- مـثـــــال رائع لذلك ، وكان فيهم من لا يتجاوز الخامسة عشرة من العمر ،

ومنهم من ردّه الرســـــول -عليه الصلاة والسلام- ولم يُجِزه في الاشتراك في الجهاد ، لصغر سنِّه!
وحسبنا هنا أن نشير إلى مَثَلٍ واحد رواه الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الرحمن بن عوف وهو يحكي قصة معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء - غلامين من الأنصار، حديثة أسنانهما - في سؤالهما عـن عـــــدو الله أبي جهل ، إذ كل واحد منهما قد عاهد الله »لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا«.
إنها مثل رائع للبطولة الشامخة والإيمان القوي.
وبـعـــــد؛ فقد يجد المراهق أن مثاليته هذه بعيدة عن الواقع وصعبة التنفيذ ، عندما تتسع الدائرة الـتي يـتـعـامل معها ، وتد يساوره شيء من الشك في قيمة تلك المُثُل العليا ، أو قد يعتبرها رياءً، لا معنى لها ، فينتهي إلى الانطواء على النفس واحتقار الذات ، أو الاندفاع في غمار الحياة لتحقيق رغباته وإشباع دوافعه الفطرية ، دون احترام للمبادئ الأخلاقية ، ما لم يكن هـنـــاك وازع من الدين والتربية القويمة التي تربط هذه القيم الأخلاقية بعقيدة المراهق وإيمانه بالله تعالى، ووجوب الالتزام بشرعه، وبضبط النفس بين دوافعه وضوابطه، وطموحاته وواقعه، وهي مـســـؤولـيـة عـظمى تقع على عاتق كل من جعله الله تعالى داعياً لأولئك الأفراد، تـحـتــــاج إلى عون من الله تعالى، وإلى كثيرٍ من الجهد والصبر والمصابرة ((والَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وإنَّ اللَّهَ لَمَعَ المُحْسِنِينَ)).

الهوامش :

1- المعجم الوسيط : 1/378

* (البيان): هذه الإحصائية متفقة مع العينة التي أجري عليها البحث، والأمــر يختلف مـن مجتمع لآخر ، فلا نستطيع التعميم بنتائج هذه العينة بإعطاء حكم عام على حـــــال المراهقين عموماً.

المسلمون في العالم

النظام العالمي الجديد : الوجه الآخر للاستعمار (2)

د. أحمد عجاج

أزمة الخليج وظهور النظام القطبي الواحد:

إن اجتياح الجيش العراقي لدولة الكـويت قد سرَّع عملية التحول الدولية ، حيث سارعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى اسـتـغـلالها خير استغلال. فإزاء رفض العراق لكل النداءات بالانسحاب عمدت أمريكا إلى تدعيم وجــودهــا

فـي المنطقة تحت شعـار أمن دولي الخليج وتثبيت منطق الشرعية الدولية. فالولايات المتحدة الأمـريـكـيـة نـتـيـجـة لضعف الاتحاد السوفياتي سارعت إلى استغلال منظمة الأمم المتحدة لتثبيت دورها الجديد في المنطقة.
وفعلاً سارع الاتحاد السوفياتي عبر وزير خارجيته إلى إدانة العراق الحـلـيـف الدائم ، إلى أن وصل أخيراً إلى حد التهديد بالتدخل عسكرياً إذا لم يسارع العراق إلى الإفـراج فوراً عن المدنيين السوفيات المحتجزين في بغداد.
فالاتحاد السوفياتي لأول مرة يطبق عملياً نظريته الحديثة حيث أكد شيفردنادزه أن دعم العراق من شأنه أن يضر بالانفتاح الدولي ، ويجلب عبئاً مادياً على الاقتصاد السوفياتي ، ناهيك عن الأضرار المادية التي يمكن أن تـنـتـج عن هذه السياسة.
وبهذا يتضح أن الاتـحــاد السوفياتي لم يعد قادراً على تبوء منصب الدولة الكبرى ومناوأة الولايات المتحدة الأمريكية. فـهـــذا الضعف قد بدا واضحاً جداً خلال الأيام القليلة التي سبقت الهجوم البري الذي شنته الـولايـــات الـمـتـحــدة الأمريكية وحلفاؤها على العراق فالاتحاد السوفياتي مدفوعاً برغبته في الحد من الخـســـــائر السياسية لسياسته الخارجية سارع إلى إعلان خطة سلام بموجبها يلتزم العراق بالانسحـــــاب من الكويت على أن يتولى الإشراف على الانسحاب دول محايدة. إلا أن هذه الخطة قـــد رفـضـها الرئيس الأمريكي مباشرة ولم يرضه أيضاً الاقتراح الثاني الذي قدمه غورباتشوف لحل الأزمة سلمياً. فالولايات المتحدة الأمريكية رأت في الاقتراحين «تقليصاً لدورها في المنطقــة وفي العالم. هذا الدرر الذي توج عملياً بالانهزام الروسي من أوروبا الشرقية والشرق الأوسط.
فالاتحاد السوفياتي خسر سوريا التي تربطه بها علاقات دفاعية واستراتـيـجـيـــة وذلك بانضمامها إلى حلف الولايات المتحدة الأمريكية ، والآن يشرف بنفسه على تدمـيـر العراق الدولة الحليفة في المنطقة وهكذا فإن الاتحاد السوفياتي لم يعد له موطىء قدم في المـنـطـقة بـل أقـصــى طموحاته تجلت في تصريحات المسؤولين السوفيات الذين حرصوا على القول عقب تحريــر الـكـويـت بأن سياستهم كانت حكيمة وصائبة مع التركيز على ضرورة عقد مؤتمر سلام دولي يشـــــــارك فيه الاتحاد السوفياتي لحل مشاكل المنطقة والصراع العري الإسرائيلي.
وبانـتـهاء حرب الخليج وما رافقها من تطورات يتضح جلياً بأن النظام القطبي الثنائي قد اختفى مـــن خارطة السياسة الدولية ، واستبدل بنظام قطبي واحد تسيطر فيه الولايات المتحدة الأمريـكـيـــة عـلـــى مجريات السياسة والاقتصاد في المنطقة. فالولايات المتحدة الأمريكية أصبحت أخيراً القـــوة الوحيدة القادرة على التهديد والضرب ووضع المقاييس التي تراها مناسبة لأوضاع المنطقة والعالم.

انعكاسات ونتائج النظام القطبي الواحد:

إن انعدام التوازن في النظام الدولى الراهن سيؤثر حقاً تأثيراً بالغاً على العالم ومنطقة الشرق الأوسط بشكل خاص ، فالولايات المتحدة الأمريكية أصبحت الطرف الأوحد، وبإمكانها أن تحقق ما عجزت عن تحقيقه خلال عقود من الزمن تميزت بصراع دائم مع الاتحاد السوفياتي للسيطرة على منطقة الشرق الأوسط بالذات.

فالاتحاد السوفياتي أصبح ملتزما بحتمية التعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية كنتيجة منطقية وليس بوسعه بعد الآن الابتعاد عن اشعاعات الولايات المتحدة بعد أن خسر أوراقه في المنطقة الواحدة تلو الأخرى. فأوروبا الشرقية تسعى جاهدة لتستظل بالمظلة الأمريكية وقس على ذلك جميع دول الشرق الأوسط بدءاً بمصر وانتهاءً بسوريا بعد أن دمر العراق الذي يعيش الآن حروباً داخلية من الممكن أن تؤثر على مجرياتها ونتائجها الولايات المتحدة الأمريكية. وهكذا فإن الاتحاد السوفياتي قد تحول إلى دولة محدودة الأهمية ، إذ أنه الآن ينتظر بلهفة المساعدات الاقتصادية الأمريكية من أجل إنعاش اقتصاده ولم شتات شعوبه التي من الممكن سريعاً أن تكسر جليد الخوف لتنطلق نحو الحرية والاستقلال مهددة بذلك كيان الاتحاد السوفياتي كدولة كبرى مترامية الأطراف، ومؤشرات تلك النهاية بدأت تظهر ملامحها والتي بدأت تتبلور عبر تصريحات المسؤولين الأمريكيين والتي تدعو الاتحاد السوفياتي إلى منح جمهوريات البلطيق حقها في الانفصال والاستقلال.

إن من نتائج هذا الاختلال هو التأثير الأمريكي المباشر على دول الشرق الأوسط وبالذات دول الخليج بالإضافة إلى أوروبا واليابان. فوجود القوات الأمريكية في المنطقة مصحوباً بسيطرتهم على مفاتيح السياسة الدولية النابعة من اختفاء الاتحاد السوفياتي كقوة مواجهة يجعلهم يتربعون براحة تامة على أغنى بقعة اقتصادية على وجه الأرض تلك الحقيقة تعطي الولايات المتحدة دوراً لم تكن لتحلم به أبداً فهي الآن تتحكم في مصادر الطاقة والتي بمقدورها أن تضخ الحياة في الجسد الاقتصادي الأمريكي الهالك. فأهمية الطاقة في السياسة الأمريكية تحتل مرتبة أولى ، ولا عجب أن يقول الرئيس الأمريكي بوش عشية تتويجه لصحيفة نيويورك تايمز الأمريكية بالحرف الواحد »أنا أصوغها بهذه الطريقة لقد حظي الأمريكيون برئيس قدم من مؤسسات النفط والغاز وهو يعرف ذلك تماماً بل يعرفه جيداً«(1). وفعلاً سارع الرئيس الأمريكي إلى حشد أكبر جيش عرفه التاريخ من أجل منع سيطرة العراق على منطقة النفط التي يعرف الرئيس الأمريكي أهميتها جيداً.

فمسؤول الطاقة الأمريكي السابق كتب في مجلة الشؤون الخارجية » Foreign affairs« ما يلي : »بضربة واحدة أخذ الرئيس العراقي دولة الكويت وبهذا فقد قلب قواعد النفط الدولية« وتابع قوله ليستخلص »أن أزمة الخليج

أعادت إلى الصدارة الحاجة إلى إعادة التفكير في أفضل الوسائل من أجل إعادة تنظيم الشؤون النفطية«. بالإضافة إلى هذا العامل فقد استطاعت الولايات المتحدة أن تمهد لشركاتها التجارية المناخ المناسب لتأخذ حصة الأسد من العقود التجارية الموقعة مع بلدان المنطقة بعد أن دمرتها الآلة الحربية الأمريكية تحت شعار تحرير الكويت. ولم يقتصر الأمر على العقود التجارية بل تعداها إلى العقود العسكرية والتي قدرت حسب آخر الإحصاءات بمبلغ 30 بليون دولار أمريكي.
إن من شأن هذه العقود أن تبعد شبح البطالة عن المصانع العسكرية لمدة طويلة وتدفع عجلة الاقتصاد الأمريكي المتردي.
ومن النتائج الأخرى الناتجة عن التغيير في النظام الدولي أن النفوذ الأمريكي امتد ليشمل أوربا واليابان اللتين عجزتا عن أن تلعبا دور الشريك في مسرح السياسة الدولية. فأمريكا تدرك خطورة اليابان وألمانيا الاقتصادية خصوصاً بعد توحيد الأخيرة لذلك عمدت إلى تهديدهما عبر السيطرة على مصادر الطاقة التي هي عصب الحياة لكل من البلدين ، فالولايات المتحدة الأمريكية أصبح بمقدورها أن تفرض عليهما من الآن ثمن أتعابها في المنطقة وليس بمقدورهما أن يرفضا. فالمتتبع للأخبار يدرك حجم المبالغ التي دفعتها كل من ألمانيا واليابان للولايات المتحدة الأمريكية في حملتها العسكرية لتحرير الكويت. والصورة واضحة ليس فيها لبس ولا غموض فوزير الدفاع الأمريكي أعلن أمام لجان مجلس الشيوخ الأمريكي »إننا نتوقع أن نقتسم المسؤوليات الدولية بصورة أكثر إنصافاً مع حلفائنا وشركائنا الذين يزدادون قوة وهو ما يتفق مع زعامتنا« وأضاف قائلاً : »إن عملية عاصفة الصحراء تعد نموذجاً طيباً للتعامل مع الأزمات التي قد تنشب مستقبلاً«.
تلك المعطيات المتمثلة في انحسار الـدور الـســــــوفياتي وضعف الموقف الأوروبي والياباني وخضوعهما للسياسة الأمريكية ، من شأنها أن تجـعـــل الدور الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط دوراً فريداً من نوعه. فالولايات المتحدة الأمريكية إضافة إلى سيطرتها الاقتصادية والعسكرية على المنطقة تستطيع أن ترسم سياسة المنطقة وتحديد سبل حل الصراع العربي - الإسرائيلي بشكل لا يتفق مع المصالح العربية والإسلامية. فرغم كل التفاؤل الذي أبدته الأوساط الأمريكية ببزوغ عصر جديد في العلاقات الدولية يتمثل في إحلال العدل والحربة والسلام لكل شعوب المنطقة ؛ لا يوجد مؤشر إيجابي يؤكد صدق هذه الادعاءات. فإسرائيل التي تحدث ما يسمى بالشرعية الدولية وضربت بعرض الحائط كل قرارات الأمم المتحدة وانتهكت حقوق الإنسان في كل من فلسطين ولبنان لا تزال تتلقى المساعدات والدعم المالي من حامية هذه الشرعية. فالشعب الفلسطيني ليس له أولوية في حساب الإدارة الأمريكية على الإطلاق. ففي تصريح لأحد المسؤولين الأمريكيين

السابقين أفاد أن المؤتمر الدولي لحل القضية الفلسطينية لا يمكن أن يتم انعقاده إلا في حال تحقق شرطين أو حالتين تتلخصان في زوال عقدة الخوف عند الإسرائيليين ، وتقليص الآمال العربية الكبرى. فإذا صح هذا التنبؤ فإن هذا يعني أن إسرائيل لكي تكون آمنة وتزول عنها عقدة الخوف يجب أن تحتل أراضي غيرها ، وعلى هؤلاء أن يعلقوا آمالاً كبرى على استرجاعها.
والحقيقة أن هذا ليس جديداً على منطقة الشرق الأوسط فإسرائيل تحتل المرتبة الكبرى في السياسة الأمريكية، بل هي المفتاح الرئيسي إلى المنطقة والسيف المسلط على شعوبها،وليس بوسع الإدارة الأمـريـكـيـة أن تكسر أو ترمي جانباً هذا المفتاح. إن أقصى ما تبغيه الإدارة الأمريكية بعد أن سيطرت عـلـى المنطقة هو تأمين اعتراف عربي وإسلامي بدولة إسرائيل وزرع فرضية جديدة في عقول الأجـيـال العربية والمسلمة مفادها أن إسرائيل دولة وجدت لتبقى. وهذه الحقيقة ليست أبداً مجـــرد تخمين بل هي بديهية ثابتة في سلم أولويات الإدارة الأمريكية بـعـد أن تخلصت من الاتحاد السوفياتي وأخضعت أوروبا والـيـابـان، وسيطرت عسكرياً على الـمـنـطـقـة. فالنظام العالمي الجديد الذي ينادي به رئيس الولايات المتحدة الأمريكية هو نظام صنـعـتـه أمريكا ، وأرسته كما تشاء ، وأجبرت الشعوب على قبوله لأنه يخدم مصالحها ، وهي تمضي قدماً في تطبيقه باسم العدالة بلا خجل أو حياء.

الهوامش:

1- The independent (British Newspaper) 3 February 1991

سقوط خوست
هل سيدفع للحل العسكري أم الحل السياسي؟

أحمد موفق زيدان

بـعـد الـجـمـود الـعـسـكـري الطويل الذي أصاب الجهاد الأفغاني تمكن المجاهدون الأفغان مـؤخـراً مـن تـحـريـر حامـيـة خـوسـت الـعسكرية والواقعة على بعد 70 كلم عن الحدود الباكستانية وجاء هذا التحرير بعد اتفان من كافة مجموعات المجاهدين في المنطقة تحت قيادة الشيخ جلال الدين حقاني والتابع للشيخ يونس خالص، وكوّنت فصائل المجاهدين في المدينة مجلس الشورى من 21 عضوا واتفقوا على شن عمليات عسكرية منسقة وموحدة على المدينة.
أهمية خوست العسكرية: وفقا لما قاله الشيخ حقاني لـ (البيان) من مقر إقامته في خوست فإن سقوط خوست كان ضربة معنوية للنظام في كابل ، إضافة إلى أنها قطعت طرق الإمداد عن مـنـطـقـة باكـتـيـا الـتي تنتمي

خوست لها من الحدود الباكستانية فقد كانت القبائل الشيعية الباكستانية في منطقة (خرم) و(وزيراستان) الباكستانية تقوم بدعم وتزويد وتموين المحاصرين في خوست، ويضيف الشيخ حقاني فيقول: (لقد قبضنا على 400 عنصر شيعي في داخل مدينة خوست وهم باكستانيون ويقاتلون إلى جانب الحكومة العميلة). وبخصوص ما حدث في مديرية (جاجي ميدان) يقول الشيخ حقاني:(لقد استسلمت المدينة للمجاهدين أما المتشددون والمتطرفون من الشيوعيين الأفغان فقد استسلموا لقبائل الشيعة الباكستانية).
وكان شيعة باكستان قد لعبوا دوراً مهما لصالح (نجيب الله) في هذا الجهاد خاصة القبائل الشيعية المحاذية للحدود الأفغانية، وقـد تـكـشـف أثـنـاء مـعـارك خوست مؤامرة شيعية باكستانية لاغتيال الزعيم (حقاني) لكن الأمر انكشف قبل حدوثه.
ويأتي هذا التقارب الشيعي مع (نجيب الله) بعد التغير الصريح والواضح للقيادة الإيرانية حيال دعم ومساندة نجيب ضد المجاهدين ، حيث تم استقباله في مشهد ، وتقديم الدعم الإغاثي والمادي لنظام نجيب، وكان آخـر ذلك مـا قـالـه السـفـير الإيراني في إسلام ابـاد (جـاويـد منصوري) بأن التدخل الخارجي سيعقد المشكلة الأفغانية مثيرا بذلك للاتهامات التي وجـهـهـا نـظـام كابل ضد باكستان في تدخلها بمعارك خوست الأخيرة ، وقد أرسل نجيب رسائل إلى الرئيس الإيراني للتدخل لدى باكستان في تورطها المزعوم بشأن خوست.
أما حـكـمـتـيـار فـقـد قـال لـ (البيان) (إن انتصار خوست قد أفشل الدعايات الشيعية ضد المجاهدين بأنهم عاجزون عن النصر) ، وقد أصيب النظام بإحباط وفقد توازنه بعد السقوط خـاصـة وأن نجـيب خطب قبل الفتح وقال: (إذا استطاع حكمتيار من تحرير خوست فأنا مستعد للتخلي عن كابل).

اهتزاز اسطورة ميليشيا "جلم جمع" :

أفرزت معارك خوست أمراً كان في غاية الأهمية لدى المجاهدين من رفع معنوياتهم عندما اسـتـسـلـم حـوالـي 700 عـنـصـر مـيـلـيـشـيـا يتبعون للجنرال (عبد الرشيد دوسة) ويلقب لـدى الأفـغـان بـ (جلم جمع) أي الذي يجمع السجاد ويسرقه من أي مكان حتى ولو من المساجد وقد نسجت حول هذه الميليشيا الأساطير ، حتى أن نجيب يعتبرها فوق الجيش والاستخبارات ورواتبهم عالية جداً ، وتقول الأنباء بأن عددهم في خوست كان أكثر من 300 عنصر ولم يعلم أين هربوا ، وتنتمي هذه الميلشيات للعرق الفارسي والطاجيكي وترسل إلى مناطق البشتون لقـتـال غير أهل عرقهم حتى لا يكون في قلبهم رحمة أو رأفة وزيادة في الصراع والخلاف العرقي الطاجكي والبشتوني وهي نفس خطة فرنسا عندما كانت تأخذ المـغـاربـة وغـيـرهـم للقـتـال إلى جانبها في بلاد الشام ، وبهذا يتعمق الخلاف بين الشعوب ويـقـول المـجـاهـدون الـذيـن شـاركــوا في الهجوم على خوست بأن الميليشيات

لعبت دوراً محورياُ في تأخير النصر عن المجاهدين حيث استماتت في الدفاع عن المدينة ، والعجيب أن عناصر هذه الميليشيات تتراوح أعمارهم بين 15-30سنة فقط وكثير منهم صغار في السن تـركـوا دراستهم للـقـتال والدمار.

غنائم المجاهدين :

غنم المجاهدون غنائم ضخمة جداً في هذه المعارك خاصة وأن الحامية استسلمت بعد حصار وقتال طويلين فقد غنموا طائرتي هيليكوبتر سليمتين وطائرتين مقاتلتين وحوالي عشرين دبابة و150 عربة عسكرية و600 قطعة كلاشنكوف و600 مدفع مضاد للطيران و200 جهاز لاسلكي وكثيراً من المواد الغذائية ومعدات السيارات.
أما الطائرات فقد أحصيت بنفسي دمار 24 طائرة عسكرية نقل في مطار خوست القديم وعدداً من الدبابات والشاحنات والعربات العسكرية.

الخطة القادمة:

تتباين وجهات نظر المجاهدين حيال المعركة القادمة فقد طالب المهندس حكمتيار بالتركيز على كابل وعدم تشتيت الجهود ويتردد بأنه طلب من أتباعه في لوجر القريبة من كابل أن يستعدوا لهجوم شامل وحاسم على المدينة ، وعين حكمتيار جيشاً منظماً في لوجر باسم (لايـشـكـا ايثار) أي (جند الإيثار) ويتدربون على مستوى جيد، ويقوم حكمتيار بنفسه بتدريبهم معنوياً عبر إلقاء المحاضرات والدروس عليهم ويبلغ تعدادهم 6000 جندي ، وتردد بعد تحرير خوست من حصول انقلاب عسكري في العاصمة بقيادة الجنرال (محمد نبي عظيمي) مع 40 ضابطاً آخرين ولكن تمكن النظام من القبض عليهم ، أما القائد جلال الدين حقاني فيركز على تحرير (كارديز) عاصمة (باكتيا) حتى يصبح ظهر المجاهدين محمياً عند التوجه نحو كابل ولكن يقول الشيخ حقاني بأنه لابد من التشاور وتبادل وجهات النظر.
الشيخ يونس خالص الذي قضى أيامه الأخيرة في (جلال أباد) يقول المقربون منه بأنه يعد لهجوم على المدينة حيث يتمتع بقوة في جلال أباد.
وعلى الـجـانـب الآخـر يعـتـبر البعض أن انتصار خوست سيكون دافعاً للحل السياسي ، فلدى سؤال الشيخ حقاني هل سيكون انتصار خوست دافعاً للحل السياسي أم العسكري أجاب : (كليهما) ، أما الشيخ حكمتيار فلم يجب على السؤال بصراحة.
(بير جيلاني) من المؤيدين لظاهر شاه طالب بالحل السياسي بعد انتصار خوست.
ويرى البعض أن الأوراق الأفغانية قد اختلطت خاصة بعد اختلاف برز مؤخراً بين القادة السياسيين السبعة والقادة الميدانيين الذين شكلوا مجلساً باسم (مجلس شورى القادة الميدانيين) ويضم أغلب القيادات الميدانية في داخل أفغانستان ويعدون لإدخال العلماء ورؤساء القبائل في هذا المجلس الذي

يتوقع أن يكون بديلاً عن القيادة السباعية أو قيادة موازية له ، ويتولى هذه الفكرة حسب قول حكمتيار الولايات المتحدة الأمريكية وذلك لتقسيم أفغانستان ، وبهذا تستطيع اللعب بأوراق متعددة ، ويبدو أن باكستان قد رضخت للفكرة أخيراً ، أما في السابق فلم تكن تتحمس لها ، خاصة أثناء حكم الجنرال ضياء الحق ، وتولي أخطر عبد الرحمن الملف الأفغاني ، ورئاسة الاستخبارات العسكرية الباكستانية المعنية بأفغانستان.

انتخابات بنغلاديش وسقوط اللوبي الهندي

بانعقاد الانتخابات العامة في بنغلاديش أخيراً تكون الدولة الوليدة التي انفصلت عن باكستان عام 1971 بتواطؤ دولي هندي أمريكي سوفياتي ، قد دخلت مرحلة جديدة من حياتها السياسية ، حيث قضت الفترة الفائتة تحت حكم الأحذية العسكرية حيث تعاقب عليها ثلاثة جنرالات أولهم (مجيب الرحمن) العميل الهندي الذي تآمر مع الهند ضد باكستان وتربع على حكم بنغلاديش حتى عام 1975 عندما قام بعض ضباط جيشه باغتياله ، والثاني الجنرال (ضياء الرحمن) الذي تم تصفيته على يد أحد المقربين له الجنرال (محمد إرشاد) رئيس هيئة أركان الجيش سابقاً وقد اختاره وفضَّله على عدة جنرالات ليكون رئيساً لهيئة الأركان ولكن انقلب عليه عام 1981 ، وأواخر العام الماضي قامت مظاهرات شعبية تولاها طلبة الجامعات والمدارس وغذتها المعارضة الحزبية بقيادة (خالدة ضياء) أرملة الجنرال (ضياء الرحمن) وزعيمة الحزب القومي البنغلاديشي، والجماعة الإسلامية ، و(حسينة واجد) ابنة الجنرال (مجيب الرحمن) وزعيمة حزب الرابطة القومية اليساري التوجه.

ولن ندخل في هذا المقام بمسألة الحكم الشرعي في تولية المرأة فذلك أمر واضح لا تعقيب عليه إذ أنه في الإسلام لا تتولى المرأة منصب رئاسة الدولة ، ولكن الملفت للنظر في منطقة جنوب وشرق آسيا أن كثيراً من الرؤساء نساء ولعل في هذا مادة للباحثين الاجتماعيين والتاريخيين وعلم السلالات عن أسباب ذلك ففي بنغلاديش امرأتان تتزعمان المعارضة ، ووصلت إحداهن الآن إلى السلطة، وفي باكستان تمكنت بي نظير بوتو من الوصول للسلطة، وفي الهند وصلت (أنديرا غاندي) وكذلك في (سري لانكا) سابقاً ، وأيضا في الفلبين.

سقوط اللوبي الهندي:

إن أكثر ما يميز هذه الانتخابات هو سقوط اللوبي الهندي والتي تتزعمه (حسينة واجد) ابنة الشخص السالف الذكر الذي تولى كبر انفصال بنغلاديش

عن باكستان بتواطئ هندي كما ذكرنا آنفاً ، وقد أسفرت الانتخابات التي عقدت في 28/2/1991 عن نجاح (خالدة ضـــياء) والتي يدعمها المسلمون لأنها أقرب للباكستان وعقيدة البلاد من (حسينة واجد) الموالية للـهـنـد وحصلت خالدة على 140 مقعد من أصل 300 مقعد ، بينما حصل حزب (حسينة) على 83 مقعد ، وفاز حزب الرئيس المخلوع (إرشاد) بـ 35 مقعد في الوقت الذي حصلت الجماعة الإسلامية على 18 مقعد وحصل المستقلون على 4 مقاعد وتكون (خالدة) بـذلـك قـــد حصلت على 42% من نسبة أصوات المنتخبين وهي قريبة من الأغلبية المطلقة بينما لم تحـصــــل (حسينة) إلا على نسبة 28% وقد دعمتها الأقلية الهندية الموجودة في بنغلاديش وتشير التقـارير بأن المخابرات الهندية قد ألقت بثقلها إلى جانب (حسينة) ضد منافستها (خالدة) المحـســوبــة على عدوة الهند التقليدية باكستان وهذا سيعزز من وضع باكستان في المنطقة حيث تملك حـلـيـفــاً مسانداً لها في بنغلاديش ومعادياً للتوجه الهندي المنافس لباكستان ، وسيكون الأمر مقلقاً لـلـهـنــد عـنـــدما تقدم (خالدة) على الاشتراك في حكومة مع (الجماعة الإسلامية) وهو الخيار الوحيد أمامها حتى تتمكن من إنشاء حكومة حسب عدد المقاعد الواجب توفرها لذلك.

ولم يجد اللوبي الهندي بزعامة (حسينة) ذريعة لفـشـلـهـم ســـوى اتهام (خالدة) بتزوير الانتخابات تماماً كما فعلت بي نظير بوتو وفشلت في انتخابات أكـتـوبــر الماضي فاتهمت التحالف الجمهوري الإسلامي بالتزوير ، ويذكر هناك بأن حوالي (60) مراقباً دولياً أشرفوا على سير انتخابات بنغلاديش وأكدوا على نزاهة وعدم تزوير الانتخابات.

ويبقى أن نقول بأن الأيام القادمة صعبة جداً لهذا البلد الإسلامي المـتـضــور جوعاً فملفات عديدة تنتظر أي حكومة قادمة بدءاً من الاقتصاد المتدهور ، والجهل والأمـــيــــة وانتهاءً بالأمراض والوضع الصحي المتدهور والفياضانات الموسمية التي لا تبخل الهند في ان تكون مسببتها من خلال التحكم بالسدود المقامة على الأنهار التي تعبر بنغلاديش من الهند.

القضية الكردية .. هل انتهت

من المؤكد أن قراء البيـــان يذكرون ما نشر في العدد (35) تحت عنوان (القوى العظمى تعد لحرب شرق أوسطية) وقـد ذكر الكاتب في هذا المقال الاهتمام البريطاني بمشكلة الأكراد في شـمـالـي الـعـراق ودورهم في إساءة العلاقات بين تركيا والعراق ، وتأتي الأحداث الأخيرة لمشكلة الأكـراد لـتـؤكـد هـذا الـكـلام ، وأن هناك اهتماماً خاصاً من بريطانيا وفرنسا لهذه المـشـكـلـة ، وعندما قـدم رئـيــس وزراء بريطانيا مشروعه (الجيب الأمني) للدول الأوربية وافقت عليه ، ثم قدم إلى مجـلـــس الأمن وكان تجاوب الولايات

المتحدة معه بارداً وكذلك روسيا لأسباب خاصة بها ، ثم وافقت أمريكا مجاملة لتحقيق الانسجام مع حلفائها ، هذا الاهتمام من بريطانيا وفرنسا لـيــس لعاطفة إنسانية ولكن لتبقى المنطقة أشلاء ممزقة يمسك الغرب بخيوطها ، وإذا كان الـغــــرب يتباكى الآن على مشكلة هو أحد أسبابها فإننا من جانبنا مع الشعب الكردي المسلم، وقد ساءنا جداً ما وقع له من تشريد وقتل ومجاعة وإننا ضد الظلم من أي مصدر كان، وفـي مـحن كهذه يجب أن نرتفع فوق العواطف ونبين مكمن الداء والمشكلة ليست مع الشعب الكردي المسلم ولكن مع زعمائه، مع البرزاني والطالباني، ولابـد مــــن الرجوع قليلاً إلى الوراء لنرى ما هي الصلة بين هؤلاء وبين مخططات بريطانيا وفرنسا، وربما ونحن نكتب هذا المقال، يكون هؤلاء الزعماء قد اتفقوا مع نظام العراق على حل المشكلة بنظرهم،ولكن من وجهة نظرنا لا تحل المشكلة إلا بالرجوع إلى تاريخها وليس هناك حل في النهاية سوى الرجوع إلى هويتنا وجذورنا إلى الإسلام.
بعد الحرب العالمية الأولى كانت خطة الغرب المنتصر تمزيق النسيج الاجتماعي والسياسي للدولة العثمانية »ففي مؤتمر الصلح الــذي عقد في سان ريمو عام 1919م أدرجت مذكرتان وخريطتان كمسودة مشروع لإقامة كــيان سياسي خاص للأكراد(1) ولكن تركيا أفشلت هذه المعاهدة ، وجاءت معاهدة (سيفر) عــام 1923م خالية من الإشارة إلى دولة كردية ، وبعد المقايضة بين فرنسا وبـريـطـانـيــا حول مدينة الموصل أصبحت أوراق القضية الكردية بيد بريطانيا ، وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية تقدم الأكراد بمطلبهم إلى هيئة الأمم المتحدة ولكن لم تجد أذناً صاغية ، فاهتبل الاتحـــاد السوفييتي الفرصة وعزز وضعه بين صفوف الأكراد وذلك لانحياز تركيا وإيران نحو أمريكا، وهـكـــــذا رعى الاتحاد السوفييتي عام 1946 مؤتمر (باكو) عاصمة أذربيجان ، وأسست جمهورية مهاباد التي لم تعش طويلاً ، وتركها مصطفى البرزاني ليؤسس الحزب الديمقراطي الكردستاني(2) وفي عهد عبد الكريم قاسم انتقل البرزاني إلى العراق ، وحاول مع الحكومات المتعاقبة الحصول على مطالبه في الاستقلال الذاتي ، وفي هذه الفترة تلقى الدعم من الغرب ومن إسرائيل ، وفي السبعينات حصل الأكراد على شكل قانوني معين ومشاركة فعالة في حكم العراق ، ولكن يبدو أنها لم تنفذ عملياً وهي التي تجري المفاوضات حولها هذه الأيام.
إن وسائل تدخل بريطانيا باسم (الجيب الآمن) وغيره من الـمـشــاريع يعيد بنا الذاكرة إلى أساليبها عندما دخلت مصر ، فقد »صاحب عملية الغزو سيل من الـتـصــــريحات الرسمية البريطانية من يولية إلى أكتوبر عام 1882 أن ليس لبريطانيا مطامع في مصر وأنها لا تنوي فتحها، وأن هدفها الوحيد من إنزال

جنودها هو إعادة الأمن فيها والمحافظة على النظام، ولمدى سنين طويلة استمرت هذه النغمة..«(3)
بعد هذا الاستعراض السريع نعود إلى الأحداث الأخيرة لنرى أن زعماء الأكراد (البرزاني - الطالباني) تحركوا نتيجة لوعود من الغرب ، وقام الغرب بدعمهم في البداية ثم تخلى عنهم ، لأن أمريكا والدول المحيطة لا تريد دولة كردية ، وانساق هؤلاء الـزعـمـــاء وراء الأحلام والأماني وتعاونوا مع الشيطان في سبيل مآربهم ، وهنا سنلاحظ أنه لا فرق بـيــن البرزاني وغيره.
نشرت مجلة الأسبوع العربي بتاريخ 1/4/1991م الخبر التالي »البرزاني - إسرائيل، عادت حليمة إلى عادتها القديمة: صـحـيـفـــــة (الفيغارو) عدد 26 آذار مارس نشرت تقريراً من مراسلها في القدس في صدر صفحتها الخـاصــة جاء فيه أن مسعود البرزاني زعيم الحزب الديمقراطي الكردستاني قام بن بزيارة سرية إلى تل أبيب من أسبوعين طالباً دعماً تسليحياً من الدولة اليهودية وكانت صحيفة معاريف الإسرائيلية المقربة من الحكومة أول من أشار إلى زيارة البرزاني«

وتتابع مجلة الأسبوع العربي فتقول:

عادت حليمة إلى عادتها القديمة ، والعادة القديمة أن اتفاق 1975 بين العراق وإيران أنهى دعم تل أبيب و (**C.I.A**) وإيران لمجموعات (البشمركة) البرزانيين ، وقبل ذلك كان مدربون إسرائيليون يلقنون هؤلاء البشمركة فنون القتال الحديث عامي 1965-1967 وفي هذه الفترة كان مصطفى البرزاني يتردد إلى إسرائيل«.
كيف تتبع الشعوب المسلمة أمثال هؤلاء الزعماء الذين يقودونهم دائماً إلى الخراب ، ولماذا تسلم هذه الشعوب قيادها إلى زعماء لا يؤمنون بالإسلام منهجاً وسلوكاً ، إن الحل ليس مع الـبـرزانــي والطالباني ، الحل في الرجوع إلى الإسلام ، وهذا يستوي فيه العرب والأكراد وغيرهم مـــــن الأعراق المسلمة ، ومشكلة العرب السنة هي مشكلة الأكراد والسنة فالجميع تحت حكم الطغيان والاستبداد وعدم تحكيم الشريعة الإسلامية ، والقومية العربية لا يرد عليها بالقومية الكردية وإنما يرد بالدعوة إلى تطبيق الإسلام.
وقد يعتب عـلـيـنــا إخواننا الأكراد أن نتكلم في مشكلتهم وهم في محنة ، ونعود لنؤكد أن مشكلتنا واحدة وهــي مشكلة الشعوب العربية الأخرى ، والذي يعصمنا من هذه المزالق هو التعلق بالثوابت التي يدعونا إليها الإسلام ومنها وحدة المسلمين وعدم تفرقهم على أساس عرقي أو لغوي.
إننا نتمنى أن توجه قوة الأكراد لمصلحة الإسلام وليس لمصلحة البرزاني وأمثاله.

الهوامش :

1- مجلة الشراع 15/4/1991 م

2- المصدر السابق
3- طارق البشري / دراسات في الديمقراطية المصرية / 20

الصومال بعد رحيل سياد بري

محمد عبدة آدم

لقد استبشر الصوماليون والعالم معهم بسقوط الطاغية »سياد بري« والذي حكم بالنار والحديد طيلة عقدين من الزمن والذي أخر الصومال إلى الوراء أكثر من عشرين قرناً ، وهذا التأخير والتخلف ليس خاصاً في مجال معين دون مجال آخر ، بل عم جميع مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والصحية وغيرها من المجالات ، حيث أنه لم يخلف للصومال شيئاً من مقومات الأمة ، فهو لم يترك جيشاً نظامياً يحمي البلاد من الأخطار الخارجية ولا بوليساً يقوم بمهمة حفاظ الأمن الداخلي ولا ترك أي مرفق آخر من مرافق الحياة الضرورية..

وبالتالي يمكن القول أن الصومال أصبح أمة بلا كيان مهددة بالانقراض والزوال واختفاء دورها الإسلامي في المنطقة حيث تخلو الساحة للدول الأخرى ذات الطابع المسيحي والتي تقف اليوم متفرجة وشامتة بما يجري في الصومال وذلك لأن الصومال يعتبر المنافس الوحيد للدول المسيحية المجاورة في المنطقة ثقافة وعقيدة فالصومال دولة إسلامية عربية.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: ماذا بعد سقوط سياد برِّي؟

لقد كان هناك عدة جبهات تحارب ضد سياد بري وكل واحدة منها تهدف إلى إسقاطه وتخليص البلاد منه ، وكان الشرط الأساسي المشترك لهذه الجبهات لوقف إطلاق النار والحروب الأهلية الدائرة في البلاد ، وكان شرطهم الوحيد ذهاب سياد برِّي أو إسقاطه حيث أن وجوده في رأس السلطة يعتبر عقبة كؤوداً أمام أي تصالح وطني أو قومي.

ولكن لماذا لم تتوقف النار والحروب الأهلية وأن الأمن والأمان لم يرجعا بعد ، وأن اجتماع المعارضة الصومالية في مؤتمر وطني لم يحدث بعد، بل وصل الأمر أن حصل الاشتباك وتبادل النيران بين فصيلتين من أكبر فصائل المعارضة.

والمعروف أن المعارضة الصومالية كانت تنادي وتجاهر علنا بأنها سوف تجتمع وتعقد مؤتمراً وطنياً مشتركاً فور سقوط سياد بري لتشكيل حكومة مشتركة ولكن لم يحدث شيء من هذا القبيل بعد رحيل سياد بري حيث تبرأت كل جبهة من الأخرى ، وزعمت كل منها أنها هي المسؤولة عن الأقاليم التي تسيطر عليها مما يؤدي إلى قيام دويلات في الأقاليم المختلفة

من البلاد على أساس قبلي.. ولكن ما السر في عدم اتفاق الجبهات وعدم تطبيق البيانات التي كانوا يصدرونها معاً ؟؟
المعروف أن معظم هذه الجبهات بـدأت مـعـــارضتها مع سياد بري بعد الثمانينات وأنها تشترك في النقاط التالية:
أولاً: أنها جميعاً حركات عرقية قبلية حيث أن كل جبهة تنتمي إلى عشيرة معينة من عشائر الصومال ، والمعروف أن القبلية في الصومال واقع سلبي وأنها الداء العضال الذي ابتلي به الصوماليون الذي يفرق ويشتت بعد أن اشتركت جميع عوامل الاتحاد الأخرى من عقيدة إسلامية ولغة وأرض ومصالح مشتركة أخرى.. ومن ناحية أخرى فليس هناك حد تنتهي إليه القبلية حتى تصل إلى أبناء الأب الواحد المختلفين في الأم لتفرقهم.. وهكذا يتضح لنا أن القبلية لا يمكن أن تكون كياناً سياسياً أو قومياً بل إذا كان للقبيلة المركز الأول فلن تقوم للصومال قائمة وستستمر - لا سمح الله - هذه الحروب الأهلية القائمة حالياً في حال رفع لواء القبلية المنتنة..
ثانياً: أنها جميعاً حركات علمانية لا ترى للدين دوراً أساسياً وريادياً والمجتمع الصومالي المسلم لا يرضى منهجاً غير منهج الإسلام ، فالمعروف أن رجال حركات المعارضة هم رجال سياد بري الذين كانوا يرددون بالأمس اسم سياد بري ويشيدون بذكره وهم بطبيعة الحال ساهموا بشكل أو بآخر في تخريب البلاد مع سياد بري فهم وزراء سياد بري وضباطه بالأمس ، فارتداؤهم ثوباً نظيفاً أبيض خالياً من السقطات والعثرات شيء لا يصدقه ولا يقبله الشعب الصومالي المسلم ، والمعروف أنَّ أي جبهة أو حركة علمانية ترفع شعار الإسلام في بداية طريقها وقبل وصول هدفها ، ولكن عندما تصل هدفها وأغراضها الدنيوية تتنكر لذلك ، وتجعل محاربة الإسلام هدفها ، وهذا فعلاً ما هو حادث في الصومال فمن المعروف أن كل حركة كانت تستعطف الشعب بأنها سوف تطبق الشريعة الإسلامية عندما تستولي على السلطة من سياد بري ، ولكن هاهم بعد سياد بري ولما يصلوا إلى هدفهم كاملاً بعد؛ وقد اختفت كلمة تطبيق الشريعة الإسلامية ، بل قد صرح بعضهم بإبعاد الدين عن الحياة ، حيث قال إسماعيل محمود هره رئيس اللجنة السياسية للحركة الوطنية الصومالية في مقابلة أجرتها معه جريدة الشرق الأوسط بعددها رقم 4456 الصادر صباح السبت 9/2/1991م قال : »إننا لا نرغب في أن نسيء الدين بإدخاله إلى سوق السياسة كما يفعل غيرنا..« ، ومدلول هذه الكلمة معروف لدى الجميع وهو فصل الدين عن الدولة ، وإبعاده عن واقع الحياة وهو كذلك تبنى مبدأ العلمانيين الموروث من الكنيسة »ما لقيصر لقيصر وما لله لله« فعليك أن تتدبر قوله تعالى ((أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ)) وقوله تعالى ((قُلْ إنَّ صَلاتِي ونُسُكِي ومَحْيَايَ ومَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ)) فالإسلام منهج للحياة كلها بما فيها السياسة.

وقال في معرض تبريره أن توجههم إسلامي قال : »إن دستورنا ينص على أن الإسلام هو دين الدولة« ولكن ألا يعلم »هره« أن أول فقرة في دستور سياد بري كان هذا البند الذي ينص على أن الإسلام هو دين الدولة وهو كذلك كلمة تستفتح للتبرك في جميع دساتير الدول العلمانية المتمسلمة ولكن لا يعدو أن يكون حبراً على ورق حيث أن الواقع يثبت خلافه.

ثالثاً: إنَّ معظم هذه الحركات نشأت وترعرعت تحت رحمة إثيوبيا وحضانتها العدو اللدود التاريخي للأمة الصومالية والإسلامية والتي لها مطامعها التوسعية في الأراضي الصومالية الإسلامية ، والصراع بين المسيحية والإسلام قديم في القرن الإفريقي قدم الإسلام في تلك الديار.

لذا فإيواء إثيوبيا لحركات المعارضة وتسليحها ضد الحكومة الصومالية أو حتى التسليح فيما بينهم يستهدف أولاً وقبل كل شيء إضعاف مركز الصومال وإحداث الفوضى والبلبلة في داخله حتى لا تقوم للصومال قائمة بعد هذا الانهيار ، ثم يستهدف هذا الإيواء لحركات المعارضة تسليم السلطة في الصومال إلى رجال موالين وعملاء في نفس الوقت لإثيوبيا كي لا تطالب الصومال مرة أخرى بالأراضي الصومالية الي تحتلها إثيوبيا (أوغادين) والتي تعتبر مصدر التوتر بين الدولتين ، وتحقيق هذا الهدف سرعان ما ظهر في تصريحات رجال المعارضة حيث يرددون في هذه الأيام بأنَّ العهد الجديد سوف يتسم بقيام علاقات ودية وسياسية خارجية منسقة مع إثيوبيا.

ومما يوضح هذا ما قاله إسماعيل هره رئيس اللجنة السياسية في الحركة الوطنية الصومالية في المقابلة التي أجرتها معه جريدة الشرق الأوسط في عددها الذي ذكرناه آنفاً، قال : »نحن لا نحب تسمية أوغادين بل نفضل بدلاً عنها اسم الأراضي الإثيوبية التي يسكنها الصوماليون ، وأوغادين اسم إحدى قبائل تلك المنطقة وسياد بري هو الذي اخترع هذا الاسم«.

أظن أنَّ هذا الكلام لا يستحق الاهتمام أو التعقيب عليه إذ لا يعدو أن يكون مجرد ادعاء وإنكار الحقائق الواضحة كوضوح الشمس وتجنٍ على التاريخ وعلى القضايا الإسلامية ، وحتى يكون القارئ على علم من أمر تلك المنطقة نعطي نبذة قصيرة عن تاريخها في السطور التالية.

تعتبر قضية أوغادين في القرن الإفريقي بمثابة قضية فلسطين في الشرق الأوسط وأوجه التشابه بينهما متعددة ولكن أهمها أن كل منهما اقتطاع أرض عربية إسلامية لمصلحة دولة مـسـيـحـيـة أو يـهـوديـة، وتعاون إثيوبيا مع إسرائيل والصهيونية العالمية شيء ضارب في الجذور،وخير دليل على هذا ما نشهده في هذه الأيام من العلاقات الثنائية الطيبة بينهما، وليس تهـجـيـر يـهــود الفلاشا إلى أرض فلسطين وإرسال الخبراء العسكريين إلى إثيوبيا إلا جزءاً من تآمر القوتين على الإسلام والمسلمين في كل مكان.

وقد كان مع بداية مأساة هذه المنـطـقــــة عندما قسم الاستعمار الغربي الصومال الكبير إلى خمسة أجزاء وكان من نصيب الحبشة »إقـلـيــم أوجادين« وقد ضمت هذا الإقليم انجلترا إلى إثيوبيا عام 1948م ، وبعد استقلال بعض الأجزاء الصومالية وتكوينها دولة مستقلة ظلت هذه المنطقة والمناطق الأخرى المحتلة موضع اهـتـمام الحكومة الجديدة حيث لا يمكن أن تحظى أي حكومة بتأييد الشعب ما لم تهتم وتطالب بالأجزاء المحتلة من الأراضي، وفعلاً لم يقصر الصومال بمطالبة الأراضي المحتلة ولم يتنازل عن شبر ، وكان الصومال الـبـلـــد الوحيد الذي رفض مبدأ القبول بالحدود الموروثة عن الاستعمار في المؤتمر التأسيسي لمنظمة الوحـــــدة الإفريقية الذي عقد في العاصمة الإثيوبية عام 1963م وكانت الحروب تقوم من وقت لآخــر لتحرير المنطقة من الاحتلال ، وكان من أشهر هذه الحروب حرب 1977م المشهورة بحــرب أوغادين والتي ألحقت بجميع الأطراف المشتركة خسائر مادية وبشرية هائلة. وتعتبر هـــذه الـمـنـطـقـة مقر الحركات التحريرية الصومالية وكان من أشهر هؤلاء المجاهدين الإمام أحمد جوري ، الذي ولد في مقاطعة هرر عام 908 هـ والذي حارب ضد الأحباش النصارى في القرون الوسطى حتى كاد يستولي عليها وقد قال عنه المؤرخ الفرنسي »رينه باســــه« (إن أشهر دور من أدوار التاريخ الأثيوبي التي بقيت أخبارها محفوظة لدى الغربيين هــــو »أحمد جوري الصومالي« الذي كاد يسحق النصرانية الحبشية ويعيدها كبلاد النوبة إلى الإسلام) ومن هؤلاء المجاهدين الذين انجبتهم تلك المنطقة المجاهد الكبير »السيد محمد عبد الله حسن« والذي حارب ضد الكفار المستعمرين أكثر من عقدين من الزمن وألحق بهم خسائر وهــزائـــــم عديدة ، وهكذا يتضح لنا أنَّ هذه المنطقة جزء لا يتجزأ من تاريخ الصومال وكيانها ولا يمـكـــن إنكاره أو منحه لمكافأة عدو الإسلام والصومال مقابل إيوائها لبعض حركات المعارضة لأغراض معروفة لدى الجميع.

ولا عجب أن تكون هذه القـضـيـــة قضية أساسية وبديهية لرجل الشارع الصومالي ، ولكن العجب العجاب أن تكون هذه القضية غامضة لدى رجل يدعي أنه سياسي ومناضل وطني ومسؤول من مسؤولي الحركات المعارضة .

إنّه حقاً موقف مخز ووصمة عار في جبين الحركة الوطنية الصومــالية ما لم تتبرأ من هذا التجني على التاريخ وعلى الأمة الصومالية. أمّا تسمية المنطقة باسـم »أوغادين« فصحيح أنه اسم لإحدى قبائل تلك المنطقة ولكن يعتبر اسم الشهرة التي اشـتـهـرت في أوساط الباحثين والسياسيين في العالم ، وهذا ليس شيئاً ذا أهمية فالمعروف أن الأســمــاء والأعلام لا تعلل وأنّه لا مشاحة في الاصطلاحات ، وإنما المهم هو جوهر القضية الذي هو احتلال الأراضي

الإسلامية الصومالية من قبل نصارى الحبشة التي أنكرتها أنت يا سعادة (هره) واعتبرتها أرضاً إثيوبية.
أمّا قولك : إن سياد بري هو الذي اخترع هذه التسمية فهو أيضاً مغالـطــة أخرى لحقائق معـاصــرة ، فالمعروف أن سياد بري أسمى هذه المنطقة باسم الصومال الغربي بـدلاً مــــن أوغادين ، وهذا معروف لدى الجميع حتى أن الجبهة التي أسسها سميت »بجبهة تحرير الصومال الغربي«.
وهكذا يتضح أن القاسم المشترك بـيـن حـــركات المعارضة الصومالية المسلحة أنها حركات قبلية وعلمانية وموالية لإثيوبيا ، وعليه فإنـهـــا بصورتها الحالية غير مؤهلة للتحول إلى حزب سياسي بل هي نوع من التكريس للتقسيم القبلي الذي يهدد البلاد بالحروب الأهلية التي تلتهم الأخضر واليابس ، وبالتالي فإنها لا تستطيع أن تنقذ الصومال مما هو عليه من الويلات والتفكك ولا تقدر أن تقود السفينة إلى شاطئ الأمان.
ولكن ما المخرج والمنقذ ممّا تعاني منه الصومال من المآزق والويلات؟
أعتقد أن إجابة هذا السؤال لا تحتاج منا إلى تفـكـيـر أو الـبـحــث عنه ، حيث إنِّ الحل الوحيد الذي يستطيع أن يحل المشاكل المستعصية في الصومال هو الإسلام ، الإسلام الذي ظلمناه واعتقدنا أنه كلمة تقال في اللسان فقط ، والمعروف أنّ الشعب الصومالي شعب مسلم بنسبة 100% وأنه تأكد تماماً فشل جميع المذاهب والمناهج غير الإسلامية، فقد بدأ الشعب الصومالي المسلم بالنظام الرأسمالي وانتهى إلى النظام الاشتراكي وقد وصل إلى مــــا وصل من التدهور والانحلال حتى الانقراض أو الذوبان تماماً ، وأعتقد أن تجربة ثلاثين عــامــــاً وزيادة تؤكد لنا فشل تلك المذاهب والمناهج المنحرفة ، ولم يبقى للصوماليين إلاّ أن يأخذوا مأخذ الجــد »الـمـنـهـــج الإسـلامي« وأن يطبقوه في شؤون حياتهم جميعاً لإنقاذ مما هم فيه ليسعدوا في الدنيا والآخرة وليسوا مخيرين في هذا الاختيار فـاللـه عز وجل يقول : ((ومَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ)) .
وأوجه النداء الأخير إلى الـشـعـــب الصومالي المسلم أن يتحد ويتعاون لحل مشاكله ، وأن ينسى مخلفات العصر الجاهلي، وأن يسـتـعـيـد الـتــآخي والتآلف الذي كان رائداً قبل أن يفرقهم الطاغية الراحل الذي مارس ضدهم سياسة »فـــرق تسد« ، وعلى الشعب الصومالي أن ينضم تحت لواء الحركة الإسلامية المباركة في الصومـــــال والتي تعتبر نظيفة من الأمراض والعيوب الموجودة لدى الحركات الأخرى التي ذكرنا، كـمـا أنهم يعتبرون أول من عارض الرئيس المخلوع حيث أنهم وقفوا ضده في أيام شوكته وقوته وقدم كثير منهم روحه لصالح الإسلام والمسلمين في الصومال.

اليهود من الداخل

جعفر أحمد الفوال
الناظر إلى ما يجري حوله في العالم من وقائع سياسية وعسكرية وتخريبية وقتل واختطاف يلحظ وجود علاقة بين ما يحـــدث ومواقف اليهود تجاه غيرهم على ضوء المخطط العالمي السياسي والعقائدي المرسوم أصلاً وأساساً في المصادر الثلاثة:
1- التوراة 2- التلمود 3- بروتوكولات حكماء صهيون.
فـهـي أسـلـوب الـعـمـل السياسي في تحويل جملة من المعتقدات اليهودية إلى خطة عمل يجابهون بها العالم.

1- اليهودية أمام المرآة :

»الـجـهـــل بالحق« من الأسباب الغالبة على أكثر النفوس المعاندة له.. فإن انضاف إلى ذلك السبب بغض من أمره بالحق ومعاداته له كان المانع من القبول أقوى. فإن انضاف إلى ذلك إلفه ما كـــــان عليه آباؤه ومن يحبه ويعظمه قوي المانع.. فإن انضاف إلى ذلك خوفه من أصحابه وعشـيـرتـــه وقومه على نفسه وماله وجاهه كما وقع لهرقل ملك النَّصارى بالشام على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ازداد المانع من قبول الحق قوة.
ومن أعظم الأسباب »الحسد« فإنه داء كامن في النفس ويرى الحاسد المحسود قد فُضِّل عليه وأوتي ما لم يؤت نظـيـره فلا يدعه الحسد أن ينقاد له ويكون من أتباعه وهل منع إبليس من السجود لآدم إلاّ الحسد؟
وهذا الداء هو الذي منع اليهود من الإيمان بعيسى عليه السلام وقد علموا علماً لا شك فيه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- جـــــاء بالبينات والهدى فحملهم الحسد على أن اختاروا الكفر على الإيمان ، وأطبقوا عليه وهم أمة فيهم الأحبار والعلماء والزهاد والقضاة والملوك والأمراء.
ثم إنهم حسدوا النبي -صلى الله عليه وسلم- حسداً شديداً فحسدوه مرتين : مرة لأن الله اختاره وأنزل عليه الكتاب وهم لم يكونوا يشكون في صحته ، وحسدوه لما لقيه من نجاح سريع شامل في محيط المدينة.
وقد جاء المسيح بحكم التوراة ، ولم يأت بشريعة يخالفهم ولم يقاتلهم ، وإنما أتى بتحليل بـعــض مـــــا حُرِّم عليهم تخفيفاً ورحمة وإحساناً وجاء مكملاً لشريعة التوراة ، ومع هذا اختارت طائفة منهم الكفر على الإيمان.
فكيف يكون حالهم مع نبي جاء بشريعة مستقلة ناسخة لجميع الشرائع مبكتاً لهم بقبائحهم ومنادياً على فضائحهم ومخرجاً لهم من ديارهم وقد قاتلوه وحاربوه وهو في ذلك كله ينصر عليهم ويظفر بهم ويعلو هو وأصحابه ، وهم معه دائماً في سفال ، فكيف لا يملك الحسد والبغي قلوبهم.

2- اليهود... ووحدة الصف :

توقع اليهود أن يعتبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم -خارج نظام دعوته وأن يقصر الدعوة على الأميين فقط من العرب فلما أن وجدوه يدعوهم - أول

ما يدعوهم - إلى كتاب الله بحكم أنهم أعرف به من المشركين وأجدر بالاستجابة له من المشركين ، أخذتهم العزة بالإثم ، وعدّوا توجيه الدعوة إليهم إهانة واستطالة.. هذا بجانب حسدهم فكان موقفهم من الإسلام موقف العداء والهجوم منذ الأيام الأولى ، فزاد شعورهم بالخطر من عزلهم عن المجتمع المدني الذي كانوا يزاولون فيه القيادة العقلية والتجارة الرابحة والربا المضاعف! أو يستجيبوا للدعوة الجديدة ، ويذوبوا في المجتمع الإسلامي ، وهما أمران في تقديرهم أحلاهما مر.
ذلك فيما كان هنالك ظرف موات لليهود فيما بين الأوس والخزرج من فرقة وخصام وهي البيئة التي يجد اليهود فيها دائماً لهم فيها عمل.. فلما أن جاء الإسلام سلبهم هذه المزايا جميعاً فلقد جاء بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيمن عليه ، فأزال الفرقة التي كانوا ينفذون من خلالها للدس والكيد وجر المغانم ، ووحد الصف الإسلامي الذي ضم الأوس والخزرج ، وقد أصبحوا منذ اليوم يعرفون بالأنصار والمهاجرين ، وألفّ منهم جميعاً ذلك المجتمع المسلم المتضامن المتراحم الذي لم تعهد له البشرية من قبل ولا من بعد نظيراً على الإطلاق.

3- وهكذا يعطون :

كانت الماسونية في العالم الإسلامي هي الإطار الواسع ، الذي تحركت فيه اليهودية التلمودية فأفرزت الصهيونية وقد أدخلها اليهود في الدولة العثمانية ونشروها في كل أجزاء البلاد العربية وخاصة الشام ومصر ، وأعلن قادتها إسلامهم تقية ، ومن خلال مراكزهم التي أقاموها في الدولة العثمانية استطاعوا السيطرة على حركة الاتحاد والترقي (تركيا الفتاة) وأفسحوا لها في محافلهم التي كانت بعيدة عن رقابة الدولة ، حتى أنهم جعلوا دعوتهم القومية موجهة ضد الإسلام والوحدة الإسلامية ودولة الخلافة ، فكانوا هم أعوان الصهيونية في هدم الدولة العثمانية وتمزيق الرابطة بين العرب والترك وإيقاد نار الخصومة بينهما حتى خططوا لاتجاههم والذي تم على مراحل على الوجه الآتي :

أولاً: السيطرة على الحكومة وإسقاط السلطان عبد الحميد الذي رفض قبول اليهود في فلسطين ولم يزحزحه الوعد أو الوعيد عن خطته وإقامة الحكومة الاتحادية التي أفسحت لليهود الدخول إلى فلسطين والإقامة فيها وشراء الأراضي.

ثانياً: إيقاع الصراع والخصومة بين عنصري الدولة العثمانية تمهيداً لتدمرها وإدخالها في الحرب العالمية دون حاجتها إلى ذلك حتى يمكن تمزيقها والاتفاق مع العرب لموالاة البريطانيين في سبيل إقامة دولة لهم ثم الوقيعة بين العرب والترك.

ثالثاً : إثارة روح العرق والعنصر في الأتراك تحت اسم الطورانية ومحاولتهم تتريك العرب وتغيير لغتهم وثقافتهم بما يدفع العرب إلى الدعوة القومية العربية ، واحتواء الدعوتين بمفاهيم غربية.
رابعاً: خداع العرب بعد وعدهم بالدولة وتمزيقهم إلى احتلالين فرنسي لسوريا وبريطاني للعراق ، ووضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني ، وإعلان وعد بلفور لليهود بإقامة الوطن القومي.
وهكذا تحققت للماسونية الخطة التي استطاعت بها إقامة الصهيونية على أرض فلسطين وإنشاء دولة إسرائيل على مرحلتين :
الأولى : بعد الحرب العالمية الأولى بإدخال أعداد ضخمة من المهاجرين وإقامة الكيان الصهيوني لها.
الثانية : بعد الحرب العالمية الثانية وذلك بإعلان دولة إسرائيل وإجلاء العرب الفلسطينيين عنها.. ثم توالت الخطوات حتى استطاعت إسرائيل أن تسيطر على القدس عام 1967 وهكذا.. يعملون.

4- كيف السبيل :

إن الضراعة الصادقة إلى الله سبحانه وتعالى : ((إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)) تستلزم المنافسة العامة بين عباد الله فما يصلح دنياهم وأخراهم ، يتنافسون في نيل الدرجات العلى في الحياتين ، يتنافسون أولاً بتلاوة القرآن حق تلاوته بحفظ ألفاظه وتدبر معانيه ، ويتنافسون في فهمه من جميع النواحي ، ثم يتنافسون في الانطباع به والتأثر حتى يتشرب في قلوبهم ويتغلغل في شرايينهم ، ويتنافسون في الاقتداء بسنة الرسول -صلى الله عليه وسلم- ثم يتنافسون بحمل الرسالة بالدعوة والتبليغ ، وتوزيع هداية الله وتصدير أنواره في مشارق الأرض ومغاربها وتعميم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتعاون على البر والتقوى ، وكل ما يقتضيه موجب التواصي بالحق والتواصي بالصبر ، فيسود السؤدد الصحيح والقوة التي لا تغلب ، التي تجمع الأهل وتشد بعضهم إلى بعض في هدف رباني سماوي ، تتجلى فيه عبودية الله بمعانيها ومبانيها فتنقي النفوس من الشح والهوى ويمنع عنهم عناصر الفرقة ويقيهم من أسباب الفساد ويلهب حماسهم للقيام بواجب الله سبحانه وتعالى.
ثم بصدق نياتهم مع الله، وإخلاصها لله ، وطهارة جوارحهم وصلاح أعمالهم، يستمطرون رحمة الله بمدد السماء وحصانته التي لا يغلبها غالب أبداً.
وهذه الحقيقة لا يفهمها إلا حملة تلك الرسالة الذين تمتلئ قلوبهم بتعظيم الله بدلاً من تعظيم المادة ؛ صدق معنى الحديث المروي عن علي -رضي الله عنه- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: »إنها ستكون فتنة قلت : ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال : كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم ، هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم وهو

الصراط المستقيم ، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ، ولا تنقضي عجائبه ، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ((إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ)) من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم«(1).
وعليه نقول : لن يكون للإسلام وجود إلا بـهــــــذه العزمة... عزمة العبودية لله ومرضاته المحققة للوحدة والأمن الصحيح والعيشة الراضية في الدارين التي لا تحصل إلا عن طريق الوحيين ، كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله علـيــــه وسلم- التي تخرج العصبة المسلمة المؤمنة العابدة لربها التي تجدد مجد أمتها وتعيد تاريخها وما ذلك على الله بعزيز.

الهوامش:

1- حديث ضعيف جداً كما بينه الشيخ الألباني في شرح العقيدة الطحاوية ص 71 وكذلك في سلسلة الأحاديث الضعيفة ، حديث : 1776

منتدى القراء

لقد اطلعت على ما نشرته مجلة البيان الـعدد »33« ص 14 موضوع : (أحاديث الفتن والفقه المطلوب) وطـلـب الكاتـب البحث في أحاديـث الفـتـن واستثارة همم القادرين من أهل العلم للكتابة عنها؛ وأقول إن الـشـيـخ صـالـح بن عـبـد الـعـزيـز آل الشيخ ذكر في شريط بعنوان »الضوابط الشرعية للفتن« عدة ضوابط منها:
1- الحلم والأناة والرفق.
2- العدل والإنصاف وعدم الظلم واتباع الهوى في الحكم.
3- تصور المسألة تصوراً كاملاً صحيحاً وفهمها والحكم عليها وفق الكتاب والسنة.
4- الحرص على الجماعة والائتلاف والوحدة بين المسلمين.
5- معرفة الراية التي يقف المسلم تحتها.
6- ليس كل ما يعلم يقال »حدثوا الناس بما يعرفون ...«
7- أن الله أمر بموالاة المؤمنين.
8- معرفة الفرق بين التولي والموالاة والاستعانة بالكفار.
وطـلـب الـدكـتـور أن يستفيد المسلمون والجماعات الإسلامية والدول الملتزمة بالإسلام من أحاديث الفتن للتخطيط للمستقبل وأقول : لقد ذكر الشيخ صالح الضابط الأخير عند وقوع الفـتـن وهــو - أي أحاديث الفتن - لا تطبق على الواقع أثناء الفتنة بل بعد وقوعها وقال ما نصُّه : إن أحاديث الفتن لا تطبقها أخي المسلم على الواقع أبداً فإنه يحلو للناس عند ظـهـور الـفـتـن أن يـراجعـوا أحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم - في الفـتـن ويكثر في

مجالسهم قال النبي -صلى الله عـلـيه وسلم- كذا هذا وقتها، والسلف علمونا أن أحاديث الفتن لا تطبق على الفتن في وقتها وإنـمــــا يظهر صدق النبي - صلى الله عليه وسلم- بما أخبره من حدوث الفتن بعد حدوثها وانقضـــائها فمثلاً بعضهم فسر قول النبي -صلى الله عليه وسلم- أن الفتنة تكون من تحت رجل مــن أهــــل بيتي بأنه فلان بن فلان؟ أو قول النبي -صلى الله عليه وسلم- حتى يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع بأن المقصود به فلان بن فلان أو قول النبي -صلى الله عليه وسلم- ســتـصـالحون الروم صلحاً آمناً وما يحصل بعد ذلك فإنه في هذا الوقت ؛ وهذا التطبيق لأحاديث الفتن على الواقع وبثّ ذلك في المسلمين ليس من منهج أهل السنة والجماعة وإنما أهل الســنة والجماعة يذكرون الفتن وأحاديثها محذرين منها مباعدين للمسلمين عن غشيانها أو القـرب مـنـهــــا لئلا يحصل بالمسلمين فتنة ولأجل أن يعتقدوا صحة ما أخبر به النبي -صلى الله عليه وسلم-.
ولقد قابلت الشيخ وسألته عن مراجع هذه النقطة وأدلتها فذكر منها الفتاوى لابـن تيمـيـة عند حديثه عن الخوارج.
أمـا الأدلـة فـهـو ما حصل لعلي - رضي الله عنه - أنه ما طبق معاملة الخوارج إلا حين ظهرت العلامة التي أخبر بها النبي -صلى الله عليه وسلم- وهي ذو الثدية ، وكذلك قتل عمّار من قبل الفئة الباغية.
وكـذلـك ذكـر أن تطبيق أحاديث الفتن قبل وقوعها منهج غير سديد لذلك أحببت التنبيه وأطلب أن يقوم أحد العلماء المتخصصين في العقيدة ومنهج أهل السنة بدراسة هذا الموضوع دراسة قوية وتبيين أقوال العلماء فيها.

عبد الله بن ابراهيم الرميح

ثغرات خفية

أخي الداعية المربي إننا بحاجة مـاســة إلى من يخرج بجهوده جيل فريد من نوعه ليسير على درب الهدى وينفع أجيالاً أخر.
لـكـن مــا هي الثغرات التي تقف أمام الجيل الجديد لكي ينحرف عن درب الهدى.. وما هي أخطاء جهود الداعية المربي في ذلك؟!

إن من الأخطاء:

1) عدم إدراك أفكار وشعور الأجيال المستقبلية :

من المـعـلــــوم أن الأفكار والمعتقدات تقع في عقل الإنسان ويصعب على المرء معرفة ما يكنُّه رفيقه في قـلـبــه من آلام وأحلام.. وكل إنسان له أفكار مستقبلية.. وكذلك الجيل الجديد.

وما إن يعرف الجـيــــل الطريق السوي ومعه أفكاره ومعتقداته المستقبلية التي يبني عليها حياته إلا ويأتي دور الداعية المربي لتوجيهه وارشاده.. وهنا يقع الخطأ في التوجيه!
من تلقين العلم والعمل زمراً زمراً من غير دراسة لأفكاره المستقبلية.. فما إن يرى الجيل هذا النوع من المعاملة وعـــدم موافقتها لما يدور في خلده إلا وتكثر مجاملته لمعلمه وعدم اهتمامه بهذا الطريق السوي ظناً منه أنه ممل.. ويتدرج هذا الشعور إلى التفكر في السقوط ثم السقوط بعد ذلك.

2) الإحاطة بمجتمع الجيل :

»الناس أجناس« ، والمجـتـمـع فيه السيئ والمحسن.. والجيل يندرج تحت غطاء السيئ أو المحسن في مجتمعهم..وبعد تـمـسـك الجيل بدرب الهدى يأتي خطأ الداعية المربي حينما يفرض عليهم أعمالاً وأفكاراً هي في نـظـــــر المربي سهلة معتادة في مجتمعه ولكنها في نظر الـطـرف الآخر عكس ذلك كله في مجتمعه.. وتـأتـي المجــاملة لتحل هذا لموقف الحرج.. ولكنها لا تجدي وبالتالي لابد لذلك الفرد السير خلف مجتمعه إن كان ضعيفاً أو الوقوف محتاراً.. ويأتي حصاد السقوط بعد هذا.

3) بين الأمر والإجابة :

إذا عـــــــرف الإنسان طريق الخير وطريق الشر عرف على إثر ذلك الأعمال الموافقة لهما والمنافية لهما..وللمربي الحق في أمر الجيل بأمر متوجب شرعاً على انفراد بعد ما يبينه له في سابق زمـــان..وأما أمور الخير عامة فينبغي للداعية المربي عدم إلزامه بها ولكن له أن يعرضها في قالب جميل من الحكمة وأن يجعل من نفسه صورة معكوسة لأمور الخير عامة.
إن الإلزام بشكل عام بحكمة ورزانة لأمر مستحب ومستحسن ولكن إذا طغى هذا الجانب على الجيل وأصبح يشغل حيزاً كبيراً من شعوره فإنه ما إن يحاول ترك طريق الهدى مع معرفته له..لا سيما إذا كان الجيل في أول طريقه للخير فإنك ترى التقهقر والرجوع ينتابه.

مهدي بن نزال المهدي

قديم وجديد

تعصب الغرب

عن :حاضر العالم الإسلامي
تعليق : شكيب أرسلان

كانت غرناطة آخر المعاقل التي سقطت في الأندلس ، وقبل رحيل آخر ملوكها عقد معاهدة مـع مـلـك إسبانيا على أن يترك للمسلمين حريتهم في دينهم ولغتهم ، ولكن الإسبان نكثوا عهودهم ومارسوا سياسة البطش لتحويل

المسلمين إلى النصرانية. يقول العالم محمد بن عبد الرفيع الذي حضر هذه المأساة وأنجاه الله منها:
»أطلعني الله على دين الإسلام بـواســطــة والـدي - رحمة الله عليه - وأنا ابن ستة أعوام وأقـل، مـع أنـي كـنـت إذ ذاك أروح إلـى مكتب النصارى لأقرأ دينهم ثم أرجع إلى بيتي فيعلمني والدي دين الإسلام ، فكنت أتعـلـــم فيهما معاً ، وسني حين حملت إلى مكتبهم أربعة أعوام. فأخذ والدي لوحاً من عود الجوز كأني أنظر الآن إليه مملّساً من غير طَفَل ولا غيره ، فكتب لي فيه حروف الهجاء في كرّتين. فـلـما فرغ من الكرة الأولى أوصاني أن أكتم ذلك حتى عن والدتي وعمي وأخي وجميع قرابتنـا ، وأمرني أن لا أخبر أحداً من الخلق ثم شدد علّي الوصية ، وصار يرسل والدتي إليَّ فتسألني ما الذي يعلمك والدك فأقول لها: لا شيء فتقول أخبرني بذلك ولا تخف لأني عندي الخبر بما يعلمك : فأقول لها: أبداً ما هو يعلمني شيئاً. وكـذلك كــان يفــعــل عـمــــي وأنا أنكر أشد الإنكار. ثم أروح إلى مكتب النصارى، وآتي الدار فيعلمني والدي إلى أن مــضــت مـــــدة فأرسل إليَّ من إخوانه في الله الأصدقاء فلم أقر لأحد قط بشيء، مع أنه -رحمه الله تعالى- قد ألقى نفسه للهلاك لإمكان أن أخبر بذلك عنه فيحرق لا مـحـالــة. لكن أيدنا الله سبحانه وتعالى بتأييده وأعاننا على ذكره وشكره وحسن عبادته بين أظهر أعداء الدين«.
قلت (شكيب أرسلان) فهمنا من هنا أن هؤلاء الجماعــة كانوا أُجبروا على النصرانية طراً، وإنما كانوا باقين في الغالب على الإسلام سراً ، وكــانوا مضطرين أن يرسلوا أطفالهم حتى من سن أربع سنوات إلى مكاتب النصارى ، ولم يـكن يباح لهم أن يعلموا أولادهم شيئاً عن الإسلام ، ومن كان يقدم على ذلك وكانت الحكـومة تعلم به كان يحرق بالنار. وبرغم هذا كله كان بعضهم حريصاً على تعليم أولاده عـقـيـدته الإسلامية ولغته العربية فكان يعلمهم ذلك مع أشد الاحتياط والامتحان خـشـيـــة أن السلطة تأخذ سر الأمر من الأولاد فتحرق أولئك الوالدين بالنار كما هو قرار ديوان التفتيش الكاثوليكي.

ويتابع ابن عبد الرفيع :

»وقد كان والدي -رحمه الله تعالى- يعلمني حينئذ ما كنت أقوله عند رؤيتي للأصنام وذلك أنه قال لي : إذا أتيت إلى كنائسهم ورأيت الأصنـــام فاقرأ في نفسك سراً قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَذِينَ تَدْعُـــــونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ)) و ((قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ)) إلى آخرها وغير ذلك من الآيـــــات الكريمة وقوله تعالى ((وبِكُفْرِهِمْ وقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً * وقَوْلِهِمْ إنَّا قَتَلْنَا المَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ

اللَّهِ ومَا قَتَلُوهُ ومَا صَلَبُوهُ ولَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وإنَّ الَذِينَ اخْتَـلَـفُـــوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ ومَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إلَيْهِ وكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً)) .
فلما تحقق والدي -رحمه الله تـعـــالى- أني أكتم أمور دين الإسلام عن الأقارب فضلاً عن الأجانب أمرني أن أتـكـلـــم بإفشائه والدتي وعمي وبعض أصحابه الأصدقاء فقط. وكانوا يأتون إلى بـيـتـنـا فيتحدثون في أمر الدين وأنا أسمع ، فلما رأى حزمي مع صغر سني فرح غاية الـفـــــرح وعرفني بأصدقائه وأحبائه وإخوانه في دين الإسلام فاجتمعت بهم واحداً واحداً».

الصفحة الأخيرة

فئران.. للتجارب

حسن القارئ

لي صديق.. يدرس سلوك الحيوان..
يـقـول .. إننا أحياناً نحقـن الفأر بمادة تستفزه .. ثم ندرس إمكانية أن يكون الفأر صالحاً للتجربة بمعنى أن نتعرف عليه وعلى إمكاناته.
ذهب بي التفكير مذاهبه .. وتساءلت هل من الممكن أن يصبح الإنسان فأراً .. للتجربة .. بل يصبح مجتمع بأســـره فئران تجارب؟! تذكرت حادثة .. وأنا أسرح في مذاهب التفكير .. حدثت في بريطانيا.. وأصـبـــح لها ضجيج عجيب..وذلك أن رجلاً تافهاً لم يكن معروفاً أخرج كتاباً يشتم فيه الرسول -صـلـــى الله عليه وسلم- ويتكلم في القرآن..فأصبح اسم هذا الكاتب على كل لسان.. خرجت مـظـاهــرات لم تشهدها مدن بريطانيا من قبل.. وكـانــت مظاهرات احتجاج من المسلمين في بريطانيا ، ثم تتابعت الأيام وإذا بوسائل الإعلام تكشف أمراً عجيباً..وخصوصاً في ظل أحداث أزمة الخليج.. لقد استفادوا من ذلك الكتاب.. وذلك المؤلف.. كما يستفيد الباحث.. يحقن الفأر..لكي يتعرف عليه.. لقد حقنوا المسلمين بكتاب رشدي فثارت ثائرة المسلمين وتحركوا ونظموا.. وكان الباحث آنذاك يراقب السلوك يحدد الإمكانيات والبواعث وحجم الخطر ومواطن الضعف والقوة.
قـسـمـــاً أيها القارئ؛ إنني لا أضخم الأمر إنهم يراقبون..
ويدرسون..ويخططون. ونحن لا نراقب..ولا ندرس.. ولا نخطط..بل جل أمرنا أن ننفعل..أن نصيح هنا وهناك.. نستنكر..ونشجب وتتحرك المسيرات.. ثم ماذا بعد ذلك ، ليس هناك هدف.. لأنه لم تكن هناك مـقـدمات.. دراسة.. وتخطيط.. فسـرعان ما يخبو اللهب.. وينطفئ.. وتعود المياه إلى مجاريها.

تمت بعون الله والحمد لله